الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة محمد بوضياف بالمسيلة
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

الرقم التسلسلي: ...../.....

رقم التسجيل: ط1: M201535095671

ط2: M201535105619

مذكرة مقدمة ضمن متطلبات نيل شهادة الماستر
تخصص: أدب عربي حديث ومعاصر

البنية المكانية في رحلة "تخليص الإبريز في تلخيص باريز" لرفاعة الطهطاوي

إعـداد الطالبتين:
- مريم لميش
-سمية شرحبيل

أمام لجنة المناقشة المكونة من السادة:

اسم ولقب الأستاذ	الرتبة	الجامعة	الصفة
د. لخضر هني	أستاذ	جامعة المسيلة	رئيسا
-د.حكيمة بوشلالق	أستاذ محاضر (أ)	جامعة المسيلة	مشرفا ومقررا
د. سعاد عريوة	أستاذ	جامعة المسيلة	ممتحنا

السنة الجامعية: 1440-1441هـ/2019-2020م

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وتقدير

إننا نشكر الله وكل الشكر أن وفقنا وأعننا على إتمام هذه المذكرة.

ثم نوجه كلمات الشكر والعرفان بالجميل إلى الأستاذة الفاضلة "حكيمة بوشلالق" المشرفة على هذه المذكرة، فلم تبخل علينا بإرشاداتها ونصائحها فبارك الله فيها وأكثر من أمثالها.

وعن قوله صلى الله عليه وسلم «من لم يشكر الناس لم يشكر الله عز وجل».

فإننا نتقدم بجزيل الشكر إلى لجنة المناقشة جزاهم الله خيرا.

كما نتقدم بالشكر إلى أساتذة قسم اللغة والأدب العربي بجامعة المسيلة

ولكل من مد لنا يد العوم والمساعدة من قريب أو بعيد ولو بكلمة طيبة أو ابتسامة عطرة.

إهداء

إلى من أنارت دربي بالصلوات والدعاء، إلى من عجز اللسان عن وصف جمالها، إلى التي ينحني الشعور بذكر اسمها ويخفق القلب لرؤيتها

"أمي الحبيبة"

إلى من علمني حب الخير والاعتماد على النفس، إلى من جعلني أعرف معنى التحدي والنجاح

"أبي الغالي"

إلى من أرى في عيونهم ذكريات طفولتي إخوتي الأعزاء

إلى كل الأهل والأقارب من كبير أو صغير من بعيد أو قريب

إلى كل زميلاتي في الجامعة

إلى كل من مدي يد العون في إنجاز هذا العمل من قريب أو بعيد

أهدي ثمرة جهدي هذه.

سمية

إهداء

وصلت رحلتي الجامعية إلى الانتهاء بعد تعب ومشقة، ها أنا ذا أختم بحث تخرجي بكل عزم وهمة، إن في مراحل حياتي يوجد أنس يستحقون مني الشكر ويسرني أن أقدم لهم ثمرة نجاحي كهدية بالنسبة لي هي مجرد شهادة تخرج لكن بالنسبة لهم الكثير والكثير.

أهدي ثمرة جهدي إلى من أحمل اسمك، إلى من علمني أن الحياة كفاح، إلى مثلي الذي أقتدي به، إلى من ورثت طبعه وعصبيته إلى من تمنين رؤيته فرحا يوم تخرجي إلى الروح التي أردت أن أكحل عيني برؤيتها يوم تخرجي ووصولي إلى النهاية إلى من وافته المنية وأنا بحاجة إليه (بابا) إليك أبي رحمك الله وأنر قبرك.

إلى من ضحت بعمرها من أجلنا إلى من تحملت الصعاب، إلى من أنارت درب طريقي بدعائها إلى ملكة عمري وحياتي حفظك الله وأطال في عمرك ورزقك الصحة والعافية

-أمي- نبع الحنان

إلى من يتجدد الأمل بهم إلى حواسي الخمسة إخوتي يوسف سندي سدد الله خطاك، مصطفى أنار الله دربك وهداك، يحي وفقك الله وأنار دربك، أمينة أمل: صغيرتا البيت أعانكما الله على صعاب الحياة دون أب.

إلى من رزقني الله به إلى رفيق دربي وشريك عمري إلى من رافقني في رحلتي العلمية إلى زوجي الغالي وعائلته.

إلى أبي الثاني وأمي الثانية (جدي، جدتي)

إلى أخوالي وعائلاتهم: عزيز مكرم، خالد، عبد الرزاق

إلى خالاتي وعائلاتهم: زوينة، سامية

إلى الأختين اللتان لم تلدهما أمي غنية، ليندة اللتان كانتا معي في طريق الخير والنجاح، في الحزن والسرور إلى من معهم سعدت وسررت حفظكما الله.

مريم لميش

مقدمة

مقدمة:

بعدما كانت الرحلة مصدرًا من المصادر التاريخية الأدبية والجغرافية وعونًا للمؤرخ والجغرافي على حد سواء. لكن بعد مرور الوقت أصبحت لونًا من الألوان الأدبية النثرية الأخرى إذ تختلط الرحلة مع الأدب في السرد والوصف إذ ينقل الواقع كما هو دون اللجوء إلى الخيال في إطار محاولة اختيار الأسلوب وتقديم الواقع في ثوب أدبي.

فقد صار أدب الرحلة مصدرًا أساسيًا للآداب والفنون التي عرفتها الأمة العربية، حيث سعت الأمة العربية عبر مختلف العصور إلى بحث الكنز الفكري وتطويره باعتباره الأساس الذي تبنى عليه نهضتها، وبالتالي تواكب الحضارات الفكرية الأخرى.

وفي بطلع العصر الحديث امتد صدى أدب الرحلة، فمن أشهر الرحالة أحمد فارس الشدياق في رحلته "الواسطة في أخبار مالطة" ولحسن توفيق "الرحلة إلى ألمانيا"، ومحمد شريف إلى أوربا، والطهطاوي الذي يعد من أشهر الرحالة العرب في عصر النهضة وزائد التنوير في العصر الحديث في رحلته "تخليص الإبريز في تلخيص باريز" الذي يعتبر همزة وصل بين الشرق والغرب.

وللمكان أهمية كبيرة في تشكيل البناء السردي للرحلة، بحيث يستحيل الاستغناء عنه، لأنه يعبر إحدى العناصر الحية والنشطة في أدب الرحلة، ليصبح جزءًا هامًا في مكونات السرد الرحلي.

ولذا كان موضوع مذكرتنا موسومًا ب: البنية المكانية في رحلة "تخليص الإبريز في تلخيص باريز" لرفاعة رافع الطهطاوي، وقد حاولنا في هذا البحث الإجابة على التساؤلات التالية:

- ما مفهوم الرحلة؟ وكيف هي في العصر الحديث؟ وما علاقتها بالأدب؟
- ما هي غاية الطهطاوي من هذه الرحلة؟ وما مدى تأثير الحضارة الغربية في الطهطاوي؟ وما هو تعريف المكان؟
- ما علاقة المكان بالأدب؟ ما هي أنواع المكان؟

وقد فرضت علينا هذه الدراسة المنهج الوصفي التحليلي لاعتباره مساعدًا على تحديد البنيات في النص الرحلي (بنية المكان)، وللإجابة على هذه التساؤلات وضعنا خطة بحث تتكون من مقدمة كانت عرضًا لإشكالية البحث وخطة، ومدخل تمهيدي فيه شرح بعض الكلمات المفتاحية، وفصلين الأول جاء بعنوان: الرحلة وأدب الرحلات، تطرقنا فيه أولاً إلى مفهوم الرحلة ثم أدب الرحلة، وتناولنا فيه دوافع وأهمية أدب الرحلة، وعرضنا أهم كتب أدب الرحلة في العصر القديم والحديث.

ثم انتقلنا إلى الحديث عن إشكالية مصطلح أدب الرحلة، وعرجنا في نهاية الفصل الأول للحديث عن أدب الرحلة في العصر الحديث.

أما الفصل الثاني فكان بعنوان: بنية المكان في رحلة تخليص الإبريز في تلخيص باريز، مزجنا فيه بين الجانب التطبيقي والنظري حيث في الجانب النظري عرَّفنا المكان وعلاقته بالأدب.

أمَّا في الجانب التطبيقي حاولنا قدر الإمكان جمع واستخراج الأمكنة المتداولة في الرحلة مع بيان نوعها ومدلولها، ثم خاتمة ألمت بأهم النتائج المتوصل إليها.

كما ذيلنا بحثنا بملحق للتعريف بالمؤلف وأهم أعماله وملخص لرحلة رفاعة رافع الطهطاوي (تخليص الإبريز غب تلخيص باريز) وقائمة مصادر ومراجع، معتمدين في ذلك على جملة من المصادر أهمها:

- رفاعة رافع الطهطاوي "تخليص الإبريز في تلخيص باريز"، معجم لسان العرب لابن منظور، معجم العين للفراهيدي، فؤاد قنديل "أدب الرحلة في التراث العربي"، حميد لحميداني "بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي.

وقد تعددت أسباب اختيارنا لهذا الموضوع وهذه الدراسة، فمنها ما هو ذاتي فلِحُسن الحظ اشتركت أنا وزميلتي في صفة البحث عن الجديد وأعجبنا بكتاب الطهطاوي لأننا لم نطلع عليه من قبل، أما الأسباب الموضوعية فإننا لاحظنا أن معظم مذكرات التخرج وبالأخص في مجال دراسة المكان أو الزمان...الخ، فإنها تطبق على الرواية أو القصة أو

المسرحية، أما أدب الرحلة فهو شبه منعدم فأردنا أن نزيل عليه الغبار ونقحمه في مجال الدراسة والتطبيق عليه، ومن الأسباب الأخرى أيضًا أن المكان واضح في النص الرحلي (كتاب رحلة الطهطاوي)، فكل هذه أسباب موضوعية حملتنا على الخوض في غمارها.

إن لكل باحث صعوباته وصعوبات بحثنا تجلت في الجهد على الحصول على المصادر خاصة كتاب الطهطاوي الذي لم نتحصل عليه نظرًا لوجود نسخة واحدة في مكتبتنا المركزية، واجهتنا أيضًا قلة الدراسات حول هذا البحث، واجهتنا أيضًا كثرة المصادر خاصة التي تناولت موضوع الرحلة.

والصعوبة الأكبر هي انتشار فيروس كوفيد 19 الذي فرض علينا الحجر وعدم الالتقاء الأستاذة المشرفة إلاَّ عبر التواصل الاجتماعي.

وفي الأخير نشكر الله عز وجل على أن أعاننا على إتمام هذا العمل، كما لا يفوتنا أن نتقدم بجزيل الشكر للأستاذة المشرفة "حكيمة بوشلالق" التي تكلفت عناء الإشراف على بحثنا هذا، والشكر موصول إلى لجنة المناقشة فلهم جزاء الشكر والتقدير، ولكل من قدم لنا يد العون من قريب أو بعيد.

المدخل التمهيدي

ماهية البنية السردية

1- البنية: لغة واصطلاحًا.

2- السرد: لغة واصطلاحًا.

3- مفهوم السردية.

4- البنية السردية.

5- مكونات البنية السردية.

1- مفهوم البنية:

أ- لغة:

ورد في القاموس المحيط للفيروز آبادي «البَنْيُ: نقيض الهدم، بناهُ يبنيه بنياً وبِنَاءً وبُنْياناً وبِنْيَةً وبِنايَةً وابتناهُ وبناه. والبناءُ: المَبنِيُ ج: ابنِية جج: ابْنِياتٌ. والبُنيَةُ، بالضم والكسر: ما بنيته ج: البَنَى والبُنى وتكون البناية في الشّرَف. وأبنَيْته أعطيته بناءَ، أو ما يَبْنِي به دارا. وبناءُ الكلمة: لزوم آخرها ضَرْبا واحدا من سكون أو حَرَكَة، لا لعَالم»[1]، نجد أن كلمة بنية وما ارتبط بها من مشتقات (بنى) تعني: التشييد والجمع والضم والترابط.

وكلمة بنية « البناء مصدر بَنَى، وواحد الأبنية وهي البيوت...، ومنه البوان، وتسمى مكونات البيت بوائن جمع بوان، وهو اسم كل عمود في البيت، أي التي يقوم عليها البناء»[2]، ويعني البناء هذا الركائز التي يقوم عليها البيت.

«وأما في اللغات الأجنبية، فإن كلمة "structure" مشتقة من الفعل اللاتيني "strucre" بمعنى يبني أو يُشَيد، وحيث تكون للشيء بِنية في اللغات الأوروبية فإن معنى هذا -أولاً وقبل كل شيء- أنه ليس بشيء غير منتظم أو عديم الشكل (armorphe) بل هو موضوع منتظم، له "صورته" الخاصة و«وحدته» الذاتية»[3]، إذًا تعريف الغرب للبنية يتوافق مع تعريف العرب.

---

[1]- مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، القاموس المحيط، تحق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، مؤسسة الرسالة، بيروت-لبنان، ط8، 2005م، مادة (بنى)، ص 1264.

[2]- نورة بنت محمد بن ناصر المري، البنية السردية في الرواية السعودية (دراسة فنية لنماذج من الرواية السعودية)، رسالة علمية مقدمة للحصول على درجة الدكتوراه في الأدب الحديث، فرع الأدب، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 1429هـ-2008م, ص 5.

[3]- زكريا إبراهيم، مشكلات فلسفية -مشكلة البنية، مكتبة مصر، القاهرة-مصر، د ط، د ت، ص 29.

ب- اصطلاحًا:

«فإذا انتقلنا الآن إلى تعريف آخر للبنية وهو تعريف ليفي شتراوس وجدناه يقرر بكل بساطة إن البنية تحمل -أولا وقبل كل شيء- طابع النسق أو النظام فالبنية تتألف من عناصر يكون من شأن أي تحول يعرض للواحد منها، أن يحدث تحولا في باقي العناصر الأخرى»[1] أي أن البنية تتألف من عناصر لها علاقة فيما بينها، وكل عنصر يؤثر على غيره من العناصر.

«وعرفها العالم اللساني الفرنسي إميل بنفست بقوله "البنية هي ذلك النظام المنسق الذي تتحدد كل أجزائه بمقتضى رابطة تماسك وتوقف، تجعل من اللغة مجموعة منتظمة من الوحدات أو العلامات المنطوقة التي تتفاعل ويحدد بعضها بعض على سبيل التبادل"»[2]، بمعنى أن البنية تتكون من مجموعة من العناصر أو الأجزاء المتماسكة والمترابطة، ولا تكون للعنصر أي قيمة خارج هذه المجموعة، وتصبح اللغة عبارة عن مجموعة منظمة من الوحدات أو العلامات المنطوقة.

ويرى "جيرالد برنس" أن البنية هي «شبكة العلاقات التي تتولد من العناصر المختلفة للكل بالإضافة إلى علاقة كل عنصر بالكل، وإذا عرفنا السرد مثلا بأنه يتألف من القصة والخطاب فإن البنية ستكون شبكة العلاقات الحاصلة بين القصة والخطاب والقصة والسرد والخطاب»[3].

[1]- زكريا إبراهيم، مشكلات فلسفية، ص31

[2]- جمعة العربي الفرجاني، أسس النظرية البنيوية في اللغة العربية، المجلة الجامعة، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب -الزاوية جامعة الزاوية، ع 18، يناير 2016م، ص 6.

[3]- جيرالد برنس، المصطلح السردي (معجم السرديات)، ترجمة: عابد خزندار، مراجعة وتقديم: محمد بريري، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة-مصر، ط1، 2003م، ص 244.

أما عن العرب، فيرى "صلاح فضل" بأنها «مجموعة متشابكة من العلاقات وأن هذه العلاقات تتوقف فيها الأجزاء أو العناصر على بعضها البعض من ناحية، و على علاقتها بالكل من ناحية أخرى»[1].

ونجد يمنى العيد تقول «حين نقول بنية النص نقول إذن وبشكل أساسي مادته اللغوية، ونقول أيضًا عالمه المتخيل الذي يتحقق بمجموع الأمور التي عرضناها أي ب: النمط والزمن والرؤية»[2]، نفهم من هذا أن البنية النصية تتشكل من عناصر مجتمعة ولكل عنصر فيها علاقة بما عداه.

وما نخلص إليه من التعريفات السابقة عند النقاد العرب والغربيين أن البنية تحمل معنى الكل المركب من أجزاء أو عناصر متلاحمة ومترابطة ومتفاعلة، أي لها تأثير متبادل فيما بينها، ويبقى العنصر متعلق بغيره من العناصر في إطار المجموعة ككل، ويتحدد من خلال علاقته بما عداه.

2- السرد:

أ- لغة:

جاء في لسان العرب «سرد الحديث ونحوه يسرده سردًا إذا تابعه، وفلان يسرد الحديث سردًا إذا كان جيد السياق له، وفي صفة كلامه صلى الله عليه وسلم لم يكن يسرد الحديث سردًا أي يتابعه ويستعجل فيه»[3].

أما في الوسيط «سرد الحديث أتى به على ولاء جيد السياق»[4].

[1]- صلاح فضل نظرية البنائية في النقد الأدبي، دار الشروق، القاهرة-مصر، ط1، 1419هـ-1998م، ص 123.

[2]- يمنى العيد، في معرفة النص، دار الآفاق الجديدة، بيروت-لبنان، ط1، 1983، ص 85.

[3]- ابن منظور أبو الفضل، لسان العرب المجلد الثالث، دار صادر بيروت-لبنان، مج: 3، ط1، 2000، مادة (سرد).

[4]- إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط مادة (سرد)، الجزء الأول، معجم اللغة العربية، دار الدعوة، 1989م، ص 426.

ورد في مقاييس اللغة لابن فارس «اسم جامع للدروع وما أشبهها من عمل الخلق، قال الله جل جلاله في شأن داوود عليه السلام: ﴿**وَقَدِّر فِي السَّرْدِ**﴾[1] قالوا: معناه ليكن ذلك مقدرًا، لا يكون الثقب ضيقًا ولا المسمار غليظًا ولا يكون المسمار دقيقًا والثقب واسعًا بل يكون على تقدير»[2].

ويتضح لنا من خلال هذه التعريفات المعجمية أن السرد هو تتابع الأحداث.

2- ب- اصطلاحًا:

إن السرد (Naration) هو «مصطلح يستخدمه الناقد للإشارة إلى البناء الأساسي في الأثر الأدبي الذي يعتمد عليه الكاتب أو المبدع في وصف وتصوير العالم سواءًا داخليًا أو خارجيًا»[3]، معنى هذا أن السرد هو الطريقة التي يختارها المبدع أو الرائي ليقدم بها الحدث أو مجموع أحداث المتن الحكائي.

كما يعني السرد «تتابع الأحداث حقيقية كانت أم خيالية والتي هو موضوع هذا الخطاب، ومختلف العلاقات التي تقوم بين هذه الأحداث، فالحكي توالي الأحداث في سيرورتها الزمنية بغض النظر عن كونها واقعية أو متخلية ورصد للعلاقات القائمة بينها، ومن ثم يعني السرد Narration التواصل المستمر»[4].

ومعنى هذا أن السرد هو عرض حدث أو سلسلة من الأحداث المتتابعة أو أخبار واقعية أو خيالية بواسطة اللغة، وله مستويين اثنين هما:

[1]- القرآن الكريم، سورة سبأ، الآية 11.

[2]- ابن فارس، مقاييس اللغة، مادة (سرد).

[3]- سمير حجازي، قاموس مصطلحات النقد الأدبي المعاصر (عربي، فرنسي، انجليزي)، دار الآفاق العربية، ط1، 2001م، ص 96.

[4]- سعيد يقطين، تحليل الخطاب الروائي (الزمن، السرد، التبئير)، المركز الثقافي العربي، ط1، 1997م، ص 41.

- مستويات السرد:

1- السرد الابتدائي:

ويتمثل في العمل الأول للمؤلف أي عندما يكتب الروائي رواية ما فيعتبر عمله هذا سردًا ابتدائيًا أو سردًا من الدرجة الأولى.

2- الدرجة الثانية:

حيث يحكي القاص حكاية داخل حكاية، حيث تكون هناك شخصيات: سارد ومستقبل داخل الرواية، فيقوم السارد منهما بسرد قصة عن شخصية ثالثة خارجة عن إطار القصة الأساسية فتعتبر هذه القصة بمثابة سرد ثانوي من الدرجة الثانية[1].

3- مفهوم السردية:

«مصطلح استخدمته "غريماس" (Greimas, 1966) للدلالة على ما به يكون الخطاب سردًا، والسردية هي ظاهرة تتابع الحالات والتحولات الماثلة في الخطاب والمسئولة عن إنتاج المعنى، وعلى هذا النحو فإن كل نص يمكن أن يخضع للتحليل السردي، وما القصص إلا صنف محدد يختص بأن الحالات والتحولات فيه متصلة بشخصيات مفردة (Individualises)، ويقودنا هذا إلى التمييز بين الدلالة وأنماط تجليها فإذا كانت النظرية السيميائية العامة تهدف إلى التعريف يتمفصل المكون الدلالي وتجليه من حيث هو كل معنوي ثقافيًا أو شخصيًا، فإنه يتعين علينا أن نتصور درجة بنائية مستقلة هي محل تنظيم حقول الدلالة الكبرى، وهذه الدرجة ينبغي أن تدرج ضمن النظرية السيميائية العامة، وهي ما يمكن أن نطلق عليه اسم السردية»[2].

[1]- سمير مرزوقي، جيل شاكر، مدخل إلى نظرية القصة (تحليلاً وتطبيقًا)، الدار التونسية وديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دط، ص 104.

[2]- محمد القاضي وآخرون، معجم السرديات، دار محمد علي للنشر، تونس، ط1، 2010م، ص 254.

ويعرفها "شعبان عبد الحكيم محمد" بأنها «فرع من أصل كبير هو الشعرية (poeties) التي تعنى باستنباط القوانين الداخلية للأجناس الأدبية واستخدام النظم التي تحكمها القواعد التي توجه أبنيتها وتحدد خصائصها وسماتها»[1].

«إن السردية تبحث في مكونات البنية السردية للخطاب من راوٍ ومروي ومروي له.ولما كانت بنية الخطاب السردي نسيجا قوامه تفاعل تلك المكونات ،أمكن التأكيد ان السردية هي العلم الذي يعنى بمظاهر الخطاب السردي أسلوبًا وبناء ودلالة»[2].

4- مفهوم البنية السردية Norrulology:

هو مصطلح اقترحه "تودروف" سنة 1959م ويعني به علم السرد، «وهو العلم الذي يعنى بدراسة الخطاب السردي أسلوبًا وبناءًا ودلالة ويقوم على الخطاب واتساقها في نظام يكف العلاقات التي تربط الأجزاء بعضها البعض، والعلاقة بينها وبين الكل المتجسد في الخطاب السردي على اعتبار أن هذا الخطاب هو الصيغة الوحيدة لنقل السرد، وهو الصورة اللغوية التي تجسده ولابد أن يكون قائمًا على نظام علمي واضح يحدد صلاته وعلاقاته بباقي مكونات المنتج الروائي وعناصره»[3].

وعند "أودين موير" تعني «الخروج عن التسجيلية والسببية إلى تغليب أحد العناصر الزمانية أو المكانية على الآخر، وعند الشكلانين تعني التغريب، وعند سائر البنيويين تتخذ أشكالاً متنوعة، ومن ثمة لا تكون هناك بنية واحدة بل هناك بنية سردية متعددة الأنواع وتختلف اختلاف المادة والمعالجة الفنية لكل منها»[4].

---

[1]- شعبان عبد الحكيم محمد، الرواية العربية (دراسة في آليات السرد وقراءات نصية)، مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2014م، ص 38.

[2]- عبد الله إبراهيم، السردية العربية (بحث في البنية السردية للموروث الحكائي)، المركز الثقافي العربي، ط1، 1995م، ص 9.

[3]- سحر شبيب، البنية السردية والخطاب السردي في الرواية، محلية دراسات في اللغة العربية وآدابها، ع14، 2013م، ص 11.

[4]- عبد الرحيم الكردي، البنية السردية للقصة القصيرة، مكتبة الآداب، القاهرة، دط، 2005م، ص 17.

«والخلاصة أن هناك بنية سردية عبارة عن مجموعة الخصائص النوعية للنوع السردي الذي تنتمي إليه، فهناك بنية سردية روائية وهناك بنية درامية... كما أن هناك بنى أخرى للأنواع الغير سردية: كالبنية الشعرية وبنية المقال»[1].

5- مكونات البنية السردية:

تتكون البنية السردية من عناصر ثلاثة وهي: الراوي، المروي، المروي له، فالحكي أو السرد يفترض وجود تواصل بين طرف أول يدعى "راويًا وطرف ثاني يدعى مرويًا له"[2]، وهذه هي المكونات الأساسية:

-الراوي:

هو الشخص الذي يروي الحكاية سواء كانت حقيقية أو خيالية «فهو ذلك الشخص الذي يروي الحكاية أو يخبر عنها سواء كانت حقيقية أو متخيلة ولا يشترط أن يكون الراوي اسمًا متعينًا، فقد يكتفي بأن يتقنع بصوت أو يستعين بضمير ما يصوغ بواسطته المروي»[3].

معنى هذا أن الراوي هو الذي يصنع ويخلق العالم الافتراضي التخيلي الذي تتكون منه الرواية، فهو الذي يختار الأحداث والشخصيات ويظهر في الرواية بطريقة غير مباشرة يظهر بضمير أنا مثلاً.

-المروي:

«هو شكل العمل الأدبي ومضمونه الذي يصدره الراوي وفيه يتم التركيز على الوقائع التي تقترن بالشخصيات وكذلك التركيز على الزمان والمكان والحكاية هي أساس المروي والمروي هو الرواية[4]».

---

[1]- عبد الرحيم الكردي، البنية السردية للقصة القصيرة، ص 49.

[2]- حميد الحميداني، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1991م، ص45.

[3]- عبد الله إبراهيم، السردية العربية، بحث في البنية السردية للموروث الحكائي العربي، ط1، 1995م، ص 11.

[4]- المرجع نفسه، ص 12.

-المروي له:

هو الشخص الذي يوجه إليه الراوي خطابًا وهو يسهم في تأسيس هيكل السرد، «هو الذي يتلقى ما يرسله الراوي سواء كان اسمًا متعيناً ضمن البنية السردية أم كان مجهولاً»[1].

وفي الأخير نستنتج أن العمل الأدبي مهما كان نوعه يستدعي وجود راوي ومروي له.

[1]- عبد الله إبراهيم، السردية العربية، ص 12.

الفصل الأول

الرحلة وأدب الرحلات

1- مفهوم الرحلة لغة واصطلاحًا

2- مفهوم أدب الرحلة

3- أعلام الرحالة العرب

4- دوافع الرحلة عند العرب

5- أهمية أدب الرحلة

6- إشكالية المصطلح في أدب الرحلة

7- أدب الرحلة في العصر الحديث

- الرحلة العربية بعد الإسلام:

إن الرحلة مرتبطة بتاريخ الإنسان منذ القدم، فالإنسان خلق مجبولاً على حب الاستكشاف والاطلاع و«النفوس لا يصلحها إلا التنقل من حال إلى حال، والارتحال للاطلاع على الغرائب واستطلاع العجائب»[1]، عرف العرب الرحلة قبل الإسلام، ولكن بمجيء الإسلام ازدادت الرحلات العربية اتساعًا وانتشارًا وذلك لعدة أسباب منها الفتوحات الإسلامية والتجارة والحج وطلب العلم وغيرها، لكن بعد القرن الثامن الهجري شهدت الرحلة العربية تدهورًا وتراجعًا، وذلك يرجع إلى عدة أسباب منها:

1- المشكلات السياسية والاقتصادية التي لحقت وعمت العالم العربي.

2- النكوص الثقافي والحضاري والتدهور الإنساني بشكل عام.

3- زوال دولة الإسلام من إسبانيا... على أن الرحلات العربية سرعان ما عادت إلى البزوغ والازدهار من جديد في ثوب مختلف مع السنوات الأولى من القرن التاسع عشر وتحديدًا بعد الحملة الفرنسية على مصر، وقد بدأها محمد عمر التونسي سنة 1903م برحلة إلى بلاد العرب والسودان وضمنها كتابه "تشحين الأذهان" وتلاه الطهطاوي الذي عبر طريقًا فسيحًا للرحلة بكتابه "تلخيص الإبريز" فسارت على دربه كوكبة كبيرة ومتألقة من الرحالة[2].

1- مفهوم الرحلة لغة واصطلاحًا:

أ- لغة:

«ارتحل البعير: سار ومضى، والقوم عن المكان: انتقلوا، كتَرحلوا، والاسم: الرُحْلَة، بالضم والكسر، أو بالكسر: الارْتِحالُ، وبالضم: الوَجه الذي تقصده، والسفرة الواحدة.»[3]، ولهذا فإن الرحلة مشتقة من الارتحال وتعني الانتقال من مكان إلى آخر.

[1]- أحمد رمضان أحمد، الرحلة والرحالة المسلمون، دار البيان العربي، جدة، دط، دت، ص 5.

[2]- فؤاد قنديل، أدب الرحلة في التراث العربي، ص 81.

[3]- مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، القاموس المحيط، مادة (رحل)، ص 1005.

ب- اصطلاحًا:

«وعرفها بطرس البستاني بأنها انتقال واحد -أو جماعة- من مكان إلى مكان آخر لمقاصد مختلفة وأسباب متعددة»[1]، «وتقدم صلاح الدين الشامي خطوات حين عدها «إنجاز أو فعلاً فرديًا أو جماعيًا لما يفيده اختراق حاجز المسافة، و إسقاط الفاصل المعين بين المكان والمكان الآخر و يأتي هذا الإنجاز من أجل هدف معين»[2]، فالرحلة تقوم بإسقاط الحواجز بهدف التعرف على الثقافات الأخرى، وبعبارة أخرى الرحلة «تعني الانتقال من مكان إلى مكان آخر لتحقيق هدف معين ماديًا كان ذلك الهدف أو معنويًا أما الحركة خلال الرحلة بقطع المسافات فهي السفر وجمعه أسفار»[3].

فالرحلة هي فعل يقوم بها الإنسان إذ ينتقل من مكان إلى آخر، وذلك من أجل تحقيق هدفا وغرض معين.

2- مفهوم أدب الرحلة:

يعرف الدكتور سيد حامد النساج أدب الرحلات بأنه «ذلك النثر الأدبي الذي يتخذ من الرحلة موضوعًا أو بمعنى آخر الرحلة عندما تكتب في شكل أدبي نثري متميز، وفي لغة خاصة ومن خلال تصور بناء فني له ملامحه وسماته المستقلة»[4].

أدب الرحلة فن نثري موضوعه الرحلة، يعكس ويوثق كل ما صادفه الرحالة عبر رحلاته كلها، فيصف الأماكن التي زارها وصفا دقيقا كما يصف كذلك عادات الشعوب وينقل المواقف التي عايشها خلال رحلته.

«وأدب الرحلة يعتمد على عدة أسس أهمها أنه:

- يقوم على رحلة -أو رحلات- واقعية في زمان ومكان محددين.

---

[1]- ناصر عبد الرزاق الموافي، الرحلة في الأدب العربي (حتى نهاية القرن الرابع الهجري)، دار النشر للجامعات المصرية-مكتبة الوفاء، القاهرة-مصر، ط1، 1995م، ص 24.

[2]- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[3]- عبد الحكيم عبد اللطيف الصعيدي، الرحلة في الإسلام(أنواعها وآدابها)، مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة-مصر، ط1، 1416ه،1996م، ص 15.

[4]- سيد حامد النساج، مشوار كتب الرحلة (قديما وحديثا)، مكتبة غريب، القاهرة -مصر، دط، دت، ص 5.

- وأن الذي يقوم بها رحال تمكن حب الرحلة منه، يصف انطباعاته ومشاهداته في هذه الرحلة.

- وأن الوصف يجب أن يوازي بين شخص الرحال من ناحية، والرحلة -كموضوع- من ناحية أخرى دون التركيز على طرف واحد قد يؤدي إلى التردي في شرك العاطفية المسرفة أو الجفاء التام.

- ويستخدم النثر المعبر عن ذات الرحال والحامل لخصائصه دونما تكلف أو إسراف.

- مع المحافظة على بنية تكفل تماسك العمل ووحدته، ليس فرضا عليه أن يلتزم معمارا بعينه -ففي أدب الرحلات سعة ومرونة قد لا تتوفران لغيره- بل له أن يختار معمارا- ولا بأس في أن يكون مبتكرًا ذا معالم واضحة يكفل تحقيق الترابط بين أجزاء العمل من لدن البداية حتى النهاية.

- وهو فن قائم بذاته له أصوله وقواعده الفضفاضة التي تتيح له قدرًا كبيرًا من المرونة والقدرة على التطور والتلون حسب مقتضى كل فرد أو عصر أو بيئة»[1].

- وفي تعريف لناصر الموافي نجده يربط أدب الرحلة بفن النثر، ويؤكد على ضرورة موازنة الرحالة بين الذات والموضوع، حيث جاء في تعريفه: «ذلك النثر الذي يصف رحلة أو رحلات واقعية قام بها رحال متميز موازنًا بين الذات والموضوع من خلال مضمون وشكل مرنين، بهدف التواصل مع القارئ والتأثير فيه»[2].

3- أعلام الرحالة العرب:

أ- في العصر القديم:

- ابن فضلان 877-960م، كتابه (رحلة ابن فضلان إلى بلاد الترك والروس والصقابلة).

- ابن جبير الأندلسي 1145-1217م، كتابه (تذكرة الأخبار عن اتفاقات الأسفار).

[1]- ناصر عبد الرزاق الموافي، الرحلة في الأدب العربي (حتى نهاية القرن الرابع الهجري)، ص 40.

[2]- المرجع نفسه، ص 40.

- العلامة الإدريسي 1100-1166م، كتابه (نزهة المشتاق في اختراق الآفاق).
- ابن بطوطة 1304-1377م، كتابه (تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار).
- الحسن بن الوزان 1494-1554م، (وصف إفريقيا).
- ابن حوقل 943-988م، كتابه (صورة الأرض).
- أبو الحسن المسعودي 896-956م، كتابه (مروج الذهب ومعادن الجوهر).

ب- في العصر الحديث:

- أحمد زكي باشا 1867-1934م، كتابه (السفر إلى المؤتمر).
- أحمد فارس الشدياق 1804-1887م، (الواسطة في أحوال مالطة).
- محمد حسين هيكل 1888-1950م، (عشرة أيام في السودان).
- إبراهيم عبد القادر المازني 1889-1949م، (رحلة الحجاز).
- زكي مبارك 1892-1952، (ذكريات باريس).

4- دوافع الرحلة عند العرب:

تختلف دوافع الرحلة من رحالة إلى آخر، ومن بين هذه الدوافع:

أ- الدافع الديني:

مثل رحلات الحج التي كتبها العلماء والرحالة والأدباء أثناء زيارتهم لبيت الله الحرام لتأدية فريضة الحج، حيث قاموا بـــ«سرد كثير من القصص والأخبار التي سمعوها في طريقهم، ووصف المشاهدات التي رأوها في سبيلهم، ودون بعض الحجاج الواسعي الثقافة مشاهداتهم بعد عودتهم، لينتفع بتجاربهم سائر المسلمين ولتساعدهم على أداء مناسكهم، ومن ثم زخرت كتبهم بأحوال سكان البلاد وطبيعة مزاجهم ،وأسس اقتصادياتهم، وينابيع ثروتهم ورخائهم»[1].

[1]- إبراهيم أحمد العدوي، ابن بطوطة في العالم الإسلامي، دار المعارف، د ط، مصر، 1954م، ص 8.

ب- الدافع العلمي:

لجأ الرحالة إلى الرحلة لبلدان مختلفة طلبًا للعلم وللالتقاء بالعلماء والاستفادة منهم، «إن الرحلة في طلب العلوم ولقاء المشيخة مزيد من كمال في التعلم، والسبب في ذلك أن البشر يأخذون معارفهم وأخلاقهم وما ينتحلون به من المذاهب والفضائل تارة علمًا وتعليمًا وإلقاء، وتارة محاكاة وتلقينًا بالمباشرة إلا أن حصول الملكات عن المباشرة والتلقين أشد استحكامًا وأقوى رسوخًا»[1].

ج- الدافع الاقتصادي:

من أجل «التجارة وتبادل السلع أو لفتح أسواق جديدة لمنتجات محلية أو لجلب سلع تتوافر في بلاد أخرى وتندر في بلد المسافر، وقد يكون هربًا من الغلاء وسعيًا وراء الرخص واليسر والوفرة أو للعمل»[2].

د- دوافع سياحية وثقافية:

«تصدر عن رغبة في الطواف نفسه والسفر لذاته، وجد التنقل وتغيير الأجواء والمناظر وتجديد الدماء بالمشاهدة والمغامرة ومعرفة الجديد من خلق الطبيعة والبشر، واكتساب الخبرة بالمسالك والطبائع، وقد تكون لتعرف المعالم الشهيرة كالآثار والمنارات والأبراج أو الكهوف والغرائب والعجائب»[3]، فالرحالة قد تدفعه الرغبة في الراحة والاستجمام والترويج عن النفس وجب الاكتشاف والاطلاع إلى القيام بالرحلة.

---

[1]- أبو زيد ولي الدين عبد الرحمان بن محمد الاشبيلي، مقدمة ابن خلدون، ضبط نصوصه وخرج أحاديثه: أبو عبد الرحمان وائل حافظ محمد خلف، دار العقيدة، 2008م، ط1، الإسكندرية -مصر، ص 631.

[2]- فؤاد قنديل، أدب الرحلة في التراث العربي، مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة -مصر، ط2، 1423هـ، 2002م، ص 20.

[3]- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

هـ- دوافع سياسية:

«كالوفود والسفارات التي يبعث بها الملوك والحكام إلى ملوك وحكام الدول الأخرى لتبادل الرأي، وتوطيد العلاقات أو لمناقشة شؤون الحرب والسلام أو تمهيدًا لفتح أو لغزو»[1].

و- دوافع صحية:

«كالسفر للعلاج أو الاستشفاء أو إراحة النفس من ألوان العناء وتخليصها من الكدر كالارتحال إلى المناطق الريفية ونحوها، وقد يكون هربًا من وباء أو طاعون أو تلوث»[2].

5- أهمية أدب الرحلة:

تميزت كتب أدب الرحلة بطابعين: أدبي وعلمي، أما الأدبي فهي تعني برصد الواقع ونقل «الصور والمشاهد على نحو يحقق التأثير الوجداني أو ينقل الأحاسيس والعواطف التي يجدها في نفسه من يجتلي تلك المشاهد والآثار والصور، وهذا البعد هو الذي يملأ النفس متعة وتأثيرًا، ويجعل للرحلة سمة أدبية بدلاً من أن تقف عند حد التسجيل والتدوين»[3].

في حين ذات الطابع العلمي يهدف أصحابها إلى تصوير الواقع كما يرونه دون زيادة الجانب الفني البلاغي، ويمكن أن تحدد ثلاث أهميات لأدب الرحلة (أهمية علمية وأهمية تعليمية وأهمية أدبية).

أ- أهمية علمية:

أدب الرحلة يتضمن معلومات مهمة لا يمكن الاستغناء عنها من طرف المؤرخين والجغرافيين وعلماء الاجتماع وغيرهم، حيث يلجئ إليه الدارسين لاستخلاص العديد من المعارف التي يقدمها في مختلف الاختصاصات، ففي مجال التاريخ مثلاً فإن الرحلات «تطرقت إلى تحليل جوانب لم تتطرق إلى تحليلها الوثائق التاريخية فقامت الرحلات

[1]- فؤاد قنديل، أدب الرحلة في التراث العربي، ص 20.

[2]- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[3]- سيد حامد النساج مشوار كتب الرحلة (قديمًا وحديثًا)، مكتبة غريب، القاهرة-مصر، دط، د ت، ص 7.

بوضع كل ذلك في دائرة الإشعاع التي توجه إليها لاستجلاء الواقع وإخراج التاريخ عن حدوده الضيقة»[1].

أما فيما يتعلق بالجانب الجغرافي، فإذا كان الرحالة «يدون مشاهداته الجغرافية على سطح الأرض إنما يعمل في خدمة علم الجغرافيا، فهو عندما يصف الممالك والبلدان والأصقاع والأقاليم والمدن والمسالك وعندما يتحدث عن الطبيعة والمناخ وظاهرات توزيع السكان وغير ذلك مما يعد من صميم الدراسات الجغرافية، إنما يعتبر من هذه الناحية مرجعًا أساسيًا بالنسبة لمن يتناول هذه الموضوعات بالدراسة... ذلك أن الرحلات سجل حقيقي لمختلف مظاهر الحياة في مجتمع بعينه ومرحلة تاريخية محددة[2]».

فنجد مثلاً أن ابن جبير تحدث عن جغرافية مدينة حماة حيث يقول: «وموضوع هذه المدينة في وهدة من الأرض عريضة مستطيلة ،كأنها خندق عميق يرتفع لها جانبان : أحدهما كالجبل المطل، والمدينة العليا متصلة بصفح ذلك الجانب الجبلي »[3]. حيث تزخر كتب الرحلات بالكثير من المعلومات الهامة التي استفاد منها الجغرافيين، فالرحالة يصف البلدان التي زارها ومعالمها وتضاريسها بدقة.

كما«عني الرحالة العرب بالأمور الاجتماعية عناية شديدة ،فاقت عنايتهم بالأمور الأخرى وأكسبت رحلاتهم أهمية كبيرة، إذ جعلتها مصدرا لا يستغني عنه المؤرخون وعلماء الاجتماع»[4] فأدب الرحلة يتضمن صورا اجتماعية متعددة مثل عادات الشعوب

[1]- نوال عبد الرحمان الشوابكة، أدب الرحلات الأندلسية والمغربية حتى نهاية القرن التاسع الهجري، دار المأمون للنشر والتوزيع، ط1، عمان-الأردن، 2008م، ص 52.

[2]- سيد حامد النساج، مشوار كتب الرحلة (قديمًا وحديثا)، ص7، ص 8.

[3]- أبي الحسن محمد بن أحمد بن جبير، رسالة اعتبار الناسك في ذكر الآثار الكريمة والمناسك (رحلة ابن جبير)، بإشراف لجنة تحقيق التراث، دار ومكتبة الهلال، بيروت-لبنان، دط، دت، ص 207.

[4]- حسين نصار، أدبيات أدب الرحلة، مكتبة لبنان، الشركة المصرية العالمية للنشر -لونجمان، الجيزة-مصر، ط1، 1991م، ص 120.

وتقاليدهم وأخلاقهم...الخ. «ولم يقصر الرحالة العرب اهتماماتهم على فئة وطبقة من المجتمع الذي وصفوه، بل تحدثوا عن الجميع»[1].

ب- الأهمية التعليمية:

ولأدب الرحلات أهمية تعليمية لأن كتب الرحلات تثري فكر القارئ وتثقفه وتزيد من معلوماته عن منطقة أو مجتمع معين.

«إن هذا النوع من الكتب يسهم في تثقيف القارئ وإثراء فكره وتأملاته عن نفسه وعن الآخرين»[2].

كما أن الرحالة نفسه يستفيد من الرحلات، فهي تزوده بالمعلومات إضافة إلى أنه يستفيد من العلماء الذين جالسهم ويحصل على علم وافر وخبرة وتجربة في ميادين مختلفة.

ج- الأهمية الأدبية:

«أسلوب الكتابة واللغة التي يتوسل بها كاتب الرحلة فإنه قد يضيف إليها قيمة أدبية وبخاصة عندما يحتفل الكاتب بالأساطير والخرافات وبعض المحسنات البلاغية، وجمال اللفظ، وحسن التعبير، وارتقاء الوصف، وبلوغه حدًا كبيرًا من الدقة، علاوة على ما يستعين به -أحيانًا- من أسلوب قصصي سلس ومشوق، وهذا هو الذي يجعل بعض الدارسين يدخلون أدبيات الرحلات ضمن فنون الأدب العربي»[3]، فأدب الرحلة تتجلى أدبيته في الكثير من المواضع وذلك من خلال الأساليب الفنية التي يقوم فيها مواده لـــ«ترتفع بها إلى عالم الأدب، وترقى بها إلى مستوى الخيال الفني»[4].

كما أن الرحالة يزود رحلته بالظواهر البلاغية من سجع وطباق وجناس...، دون تكلف، فنجد مثلاُ الرحالة الكبير ابن جبير الأندلسي يستخدم أحيانًا نوعًا من السجع في

[1]- حسين نصار، أدبيات أدب الرحلة، ص 120.

[2]- سيد حامد النساج، مشوار كتب الرحلة (قديما وحديثا)، ص 8.

[3]- المرجع نفسه، ص 8.

[4]- حسني محمود حسين، أدب الرحلة عند العرب، دار الأندلس، ط2، بيروت-لبنان، 1403هـ، 1983م، ص 8.

نصوص رحلته وهو يتحدث عن أهل مدينة بغداد حيث يقول: «وأما أهلها فلا تكاد تلقى منهم إلا من يتصنع بالتواضع رياء، ويذهب بنفسه عجبًا وكبرياء يزدرون الغرباء، ويظهرون لمن دونهم الأنفة والإباء، ويستصغرون عمن سواهم الأحاديث والأنباء»[1].

- والرحالة يلجأ إلى الاستشهاد بأبيات شعرية من نظمه، أو أبيات يستعين بها من غيره، ومن الرحالين المحدثين الذين وظفوا الشعر "رفاعة رافع الطهطاوي"، فمثلاً نجده يستشهد بشعر "ابن دريد" حو السمعة ودوام الذكر:

وإنما المرء حديث بعده فكن حديثًا حسنًا لمن وعى[2]

وأغلب استشهاده كان من الشعراء القدامى (مثل: أبى نواس والمتنبي...) ما يدل على سعة ثقافته الشعرية خاصة الشعر العربي القديم، وبذلك كان لمصادر الرحلة أهمية بالغة في الحفاظ على الشعر العربي القديم من الزوال .

كتب الرحلات اهتمت واعتنت بالشعر لأن «العلاقة بين الشعر والرحلات علاقة انسجام فما يرتبط بالرحلات من ذكر للأماكن والأشخاص والأحداث والأوصاف يصبح موضوعا للشعر»[3].

- وأدب الرحلة نوع من السيرة الذاتية، ذلك أن الرحالة يسود كل ما يتعلق به في رحلته، كما يقدم معلومات عن حياته، حيث تظهر شخصيته من خلال ما يكتبه وتوجد في أدب الرحلة مظاهر الخرافة والأسطورة، فتمتزج فيه «المعلومات بالمغامرات والواقع بالأساطير، ذات الكاتب ومشاهداته، التجربة والحكمة مع الخيال، السحر مع الغرائب والعجائب»[4].

---

[1]- أبي الحسن محمد بن أحمد بن جبير، رسالة اعتبار الناسك في ذكر الآثار الكريمة والمناسك (رحلة ابن جبير)، بإشراف، لجنة تحقيق التراث دار ومكتبة الهلال، بيروت-لبنان، دط، دت، ص 173.

[2]- الطهطاوي رفاعة رافع، تخليص الإبريز في تلخيص باريز، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة-مصر، دط، 2011م، ص 84.

[3]- نوال عبد الرحمان الشوابكة، أدب الرحلات الأندلسية والمغربية حتى نهاية القرن التاسع الهجري، ص 97.

[4]- فؤاد قنديل، أدب الرحلة في التراث العربي، مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة، ط2، جمادى الأولى 1423هـ، يوليو 2002م، ص 13.

كما يضيف الرحالة في بعض الأحيان شيئا من الفكاهة والمرح والسخرية لغرض الإمتاع والمؤانسة، «وبهذه المميزات والخصائص المتعلقة بأسلوب أدب الرحلة، وبموضوعه الشمولي الفني بما فيه من علم وأدب وخرافة وأسطورة يمكننا اعتباره نمطًا خاصًا من أنماط القول الأدبي، قد لا يرقى إلى مستوى الفن القائم بذاته كفن القصة أو الشعر أو المسرحية أو المقالة الأدبية مثلاً ففيه تجتمع أساليب هذه الفنون وموضوعاتها كلها من غير أن تضبطه معاييرها أو أن يخضع لمقاييسها»[1]، «وقد أفاد أدب الرحلة بغنى موضوعاته في صرف أصحابه في غالب الأحيان عن اللهو والعبث اللفظي والتكلف في تزويق العبارة إيثارًا للتعبير السهر المؤدي للغرض لنضجه نعني تجربة صاحبه مما يفتقد كثير من الأدباء والمحترفين في بعض عصورنا الأدبية»[2].

وبهذا تكون كتب الرحلة من الكتب المهمة التي تعود بالنفع على الإنسان والحضارة، وهي «ليست فقد دلالة على قدرة القاص العربي وإبداعه لكنها دون أدنى شك بحر من المعارف والاكتشافات»[3].

«لقد جاب الرحالة كل الأرض المعمورة في أزمانهم ودونوا ملامحها الإنسانية والاقتصادية والمعمارية والثقافية والجغرافية، وخدموا العلم كما خدموا الفتوحات الإسلامية خدمات جليلة وحفزوا الخيال وأعانوا الحكام وفتحوا أمام طلاب العلوم والمعرفة آفاقًا رحبة ونوافذ عديدة»[4]، فبعض الرحالين جنحوا إلى سرد «القصص التي عاشوها أو سمعوا بها، وكان سردهم لهذه القصص بعفوية وحيوية، قربت الرحلة من عالم القصة...»[5].

[1]- حسني محمود حسين، أدب الرحلة عند العرب، ص 9.

[2]- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[3]- فؤاد قنديل، أدب الرحلة في التراث العربي، ص 6.

[4]- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[5]- نوال عبد الرحمان الشوابكة، أدب الرحلة الأندلسية والمغربية حتى نهاية القرن التاسع هجري، ص 306.

وبالإضافة السرد نجد حضور الوصف الدقيق في أغلب الرحلات، هذا الذي قرب أدب الرحالة إلى أسلوب القاص، تقول الباحثة نواب: «الرحلة عادة تحفل بالمقومات الأسس للقصة من فكرة رئيسية وبناء وحبكة، وبيئة زمانية ومكانية، وشخصيات، وبطل للقصة، علاوة على اللغة والأسلوب، فالفكرة موجودة ومجريات الرحلة هي بناءها وحبكتها، والبيئة الزمانية والمكانية محددة، والشخصيات أدت دورها واقعيًا وبطلها الرحالة نفسه وتأتي إليه اللغة والأسلوب الذي كان يصل في بعض الأحيان إلى درجة الإبداع المستند إلى الواقع وكثير من الخيال في الموضوعات التي يطلق فيها الرحالة الفنان لخياله»[1].

وأدب الرحلة يشتمل على جميع الفنون الأدبية، فبالإضافة إلى اقترابه من فن القصة، نجده يقترب أيضًا من فن الرواية، «بل وصلت عند بعض الكتاب إلى الشكل الروائي، كما نرى في «خمسة في سيارة» لسامي الجريديني وليس معنى ذلك أننا نستطيع أن نعدها من النمط الروائي، فلهذا الجنس الأدبي قوانينه من عقدة وحبكة وأشخاص متورطين...الخ، ولا تأبه الرحلة الواقعية للكثير من هذه القواعد، إلا إذا كانت خيالية محضة»[2].

6- إشكالية المصطلح في أدب الرحلة:

تتنوع مفاهيم ومصطلحات أدب الرحلة بتعدد وتنوع الاختصاصات إذا لا يوجد مفهوم وافي وشامل لهذا المصطلح، ففي علم التاريخ يراه المؤرخون جزءًا منه فهو غني بالمادة التاريخية إذ نجدهم يسلطون الضوء على الكثير من الشخصيات فالرحالة عندما يدرس شعبًا لابد أن يعرف تاريخه وماضيه.

[1]- نواب، عواطف بنت محمد يوسف، كتب الرحلات في المغرب الأقصى، دارة الملك عبد العزيز، الرياض، 2008م، ص 20.

[2]- حسين نصار، أدبيات أدب الرحلة، مكتبة لبنان، الشركة المصرية العالمية للنشر -لونجمان، الجيزة -مصر، ط1، 1991م، ص 132.

أما الجغرافيون فيدرجونه ضمن علم الجغرافيا، فهو يكشف لنا عن الأماكن والمسالك والطرقات ومعرفة الأقطار والأقاليم، وهذا المصطلح أيضًا يدخل في علم الاجتماع فهو يصور لنا عادات وتقاليد المجتمع، أما علماء الاقتصاد فيدرجونه ضمن علم الاقتصاد لأن الشعوب العربية كانت تخرج من جزيرتهم مرتين في السنة ضمن القوافل التجارية وهي رحلة الشتاء والصيف، وتوجد أيضًا رحلة الحج الذي كان مركز التبادل التجاري لاختلاف الأجناس والسلع.

«كما أن الرحلة كانت الطريقة الوحيدة التي تمثل مصدر رزق للإنسان منذ أن خلق وهو يرتحل من منطقة إلى أخرى باحثًا عن الأشياء ومكتشفًا لها ومواجهًا للمصاعب بقطع المسافات، وكانت أول رحلاته هي رحلة البحث عن الطعام من مكان لآخر لأن الإنسان ولد بطبعه محبًا للحركة هذا ما يجعله يطور أفكاره ويتطلع إلى الآفاق البعيدة»[1].

كما أن الرحلة كانت أداة الحج ومصدرًا لطلب العلم والمعرفة، والأهم من هذا كله أنها مصدرًا من مصادر الأدب العربي فتعتمد على عنصر أساسي وهو السرد أثناء الرحلة بالإضافة إلى ما تتضمنه من أساليب أدبية أخرى.

ويمكننا القول أن أدب الرحلة مفهوم واسع لا يمكن حصره في دائرة ضيقة لأن يتضمن علوم ومعارف تشمل جميع نواحي الحياة والمعرفة الإنسانية.

7- أدب الرحلة في العصر الحديث:

عادت الرحلات إلى البزوغ والازدهار في ثوب جديد مختلف بعد احتكاك العرب بالغرب، فقد حدث اتصال بين العالمين (الغربي والعربي)، فبعد حملة نابليون على مصر فتحت أبواب كانت مغلقة على العرب، حيث بدأت تتزايد البعثات العلمية إلى العالم الغربي وبشكل خاص الرحلات العربية إلى أوربا، وتضمنت كتبهم وصف مناظر بلدان أوربا ثم أعلن الرحالة العرب اهتمامهم بالرحلات نحو الولايات المتحدة الأمريكية بقسميها، ومن

[1]- عبد الصمد عزوزي، أدب الرحالة الجزائريين في الخمسة الهجرية الثانية، رسالة ماجستير، مخطوط، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، تلمسان، 2003م، ص 5-6.

جانب آخر حط بعض الرحالة العرب رحالهم نحو الهند والصين حتى أنهم لم يتركوا أي منطقة إلا وسافروا إليها ووصفوها.

وكان أول من قام بالرحلة في العصر الحديث «"محمد عمر التونسي" سنة 1903م الذي ألف كتابًا في رحلته بعنوان: "تشحيذ الأذهان"، كما اشتهر في هذه المرحلة رفاعة الطهطاوي فألف كتابًا بعنوان "تخليص الإبريز في تلخيص باريز"»[1]، فقد كانت هذه الرحلة الشعلة المضيئة في عصر النهضة لما تحمله في طياتها من تغيير وتجديد ورغبة في النهوض بالبلاد العربية، فقد اشتهرت رحلة الطهطاوي لما تحمله من وصف دقيق بطريقة سهلة ومتيسرة وهادفة عن البلدان الإفرنجية الفرنسية من مرسيليا، وخاصة باريس التي كانت وجهته في رصد أماكنها وكل ما يتعلق بها من كل الجوانب الجغرافية والإقليمية وقطرها وعماراتها وعاداتها...الخ، وكل ما يتعلق بهذه المدينة.

ومن أشهر الرحالة نذكر أيضًا «محمد فريد الذي سافر إلى تونس والجزائر وفرنسا والذي ألف كتاب "من مصر إلى مصر" وأحمد زكي باشا وكتابه "السفر إلى المؤتمر" وأحمد فارش الشدياق كتابه "الواسطة في أحوال مالطة" وحسن التوفيق "الرحلة إلى ألمانيا"»[2].

«أما الرحالة المستشرقين الذين تهافتوا على البلدان العربية نذكر: "تشالز دواتي"Charies Doughty عنوان رحلاته "في صحراء العرب" traueis in Arabic deseria، و"كارلو جورماني" Carlo Guarmani وتشالز هيوبر Charles Huber والليدي آن بلنت lady anne bliunt»، وغيرهم وهم كثر، كان هدفهم من هذه الرحلات هو تشبيع ثقافاتهم ونشرها على أوسع نطاق وتوسيع خيالهم.

[1]- محمد رضا الرحمان القاسي، الرحلة وأدبها في اللغة العربية، مجلة الداعي الشهيد، دار العلوم، 1413هـ، ص 15-16.

[2]- المرجع نفسه، ص 16-17.

الفصل الثاني

بنية المكان في رحلة تلخيص الإبريز في تلخيص باريز

1- المكان وعلاقته بالأدب

2- مفهوم المكان

3- أنواع الأمكنة

أ- الأماكن المفتوحة

ب- الأماكن المغلقة

1- المكان وعلاقته بالأدب:

إن الأدب هو نوع من أنواع التعبير عما يدور في خاطر الكاتب من أفكار وآراء وخبرته في الحياة وذلك من خلال الكتابة بعدة أشكال سواء كانت نثرية أو شعرية أو غيرها من أشكال التعبير في الأدب، وإن الأدب ما هو إلا نتاج فكري يتشكل في مجموعة الحضارة الفكرية واللغوية لأمة من الأمم وهو انعكاس طبيعي لثقافتها ومجتمعها.

يستحضر الأدب العديد من العناصر في العمل الأدبي إذ يعد المكان أهم عناصره الأساسية، فالمكان يحدد الرؤى والمشاعر للشخصيات القصصية أو الروائية، «إذ أن المكان في الأدب ليس مجالا هندسيًا تضبطه حدود أبعاده وقياسات خاضعة لحسابات دقيقة كما هو الشأن بالنسبة إلى الأمكنة الجغرافية ذات مواصفات الطوبوغرافيا»[1].

ويرى الروائي "مصطفى لفتيري" «أنه لا جدال في أن المكان يعتبر من أهم مكونات العمل الأدبي وحتى وان اختلفت التسميات بين من استعمل كلمة مصطلح المكان، ومن يوظف مصطلح الفضاء باعتبار هذا الأخير أشمل وأهم من الأول، غير أن دلالتهما تكاد تكون متقاربة في التداول الاصطلاحي، إذ استثنينا فروقًا بسيطة بحيث يدلان معًا على الحيز أو الأحياز التي تنتقل فيها الشخصيات في العمل الأدبي عمومًا وفي القصة والرواية على وجه الخصوص، بحيث يصعب تصور رواية أو قصة بدون مكان، فهو الوعاء الذي يحتوي الأحداث والشخصيات على حد سواء، أما بخصوص ما إذا كان المكان يشكل سيرة الكاتب أم سيرة المكان فالأمر متداخل جدًا وجدلي بشكل مربك، فالكاتب غالبًا ما يكتب عن أمكنة تعرف عليها وعاش فيها، والكاتب بالطبع يضيف من خياله الشيء الكثير عن تصويره لهذه الأمكنة»[2].

[1]- باديس بوعالي، الزمان والمكان في شعر الجاهلية، علم الكتب الحديث، جدار الكتاب العالمي للنشر والتوزيع، ط1، دت، ص 181.

[2]- جريدة الزمان الدولية، العدد 4296، التاريخ 2012/09/05م، AZP 09.

2- مفهوم المكان:

أ- لغة:

عرفه الفراهيدي في كتابه "العين" بقوله «المكان في أصل تقدير الفعل: مفعل، لأنه موضع للكينونة، غير أنه لما كثر أجروه في التصريف مجرى الفعال، فقالوا: مكنا له، وقد تمكن، وليس بأعجب من "تمسكن" من المسكين، والدليل على أن المكان مفعل: أن العرب لا تقول: هو من مكان كذا وكذا إلا بالنصب[1]»، فالمكان في المعنى اللغوي يقصد به الموضع .

ب- اصطلاحًا:

يعرفه "جيرالد برنس" في المصطلح السردي «المكان أو الأمكنة التي نقدم فيها الوقائع والمواقف (مكان المواقف وزمانها، مكان القصة) والذي تحدث فيه اللحظة السردية[2]»

المكان عنصر ضروري في السرد بهو يساعد القارئ على تخيل الأحداث والوقائع والمواقف والاتصال بها.

3- أنواع الأمكنة:

يحتاج العمل الفني إلى مكان تقع فيه الأحداث لكي تنمو وتتطور، فالأماكن تختلف في صفاتها وتشكيلاتها فهي ليست متشابهة، وهذا الاختلاف والتباين يعطي لكل مكان خصوصيته المعينة التي تميزه عن غيره، فإذا كانت الأماكن في الحياة الواقعية التي تعيشها مختلفة من حيث المستويات فالشيء نفسه بالنسبة للمكان في الأعمال الفنية، لهذا فالروائيين يأخذون هذا الجانب بعين الاعتبار في أعمالهم، ذلك أن كل دور تأديه الشخصيات داخل الرواية تتطلب تنقلاً بين عدة أماكن، وهذا التنقل يكون وفق توجه

[1]- الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، ت: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط1، 2003م، ج4، مادة (مَكَنَ)، ص 161.

[2]- جيرالد برنس، المصطلح السردي (معجم مصطلحات)، ترجمة عابد خزندار، مراجعة وتقديم محمد بريري، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة-مصر، ط1، 2003م، ص 214.

معين، فقد لا يكون هذا المكان غير محبوبًا للشخصية، كما قد تذهب إليه طواعية، وانطلاقًا من ذلك نجد أن الأمكنة تتنوع إلى فئات، هذا ما دفع "لحميداني حميد" إلى القول: «إن الأمكنة بالإضافة إلى اختلافها من حيث طابعها ونوعية الأشياء التي توجد فيها تخضع في تشكيلاتها أيضًا إلى مقياس آخر مرتبط بالاتساع والضيق أو الانفتاح والانغلاق، فالمنزل ليس هو الميدان والزنزانة ليست هي الغرفة لأن الزنزانة ليست مفتوحة دائمًا على العالم الخارجي بخلاف الغرفة فهي دائمًا مفتوحة على المنزل والمنزل على الشارع، وكل هذه الأشياء تقدم مادة أساسية للروائي لصياغة عالمه الحكائي»[1].

يرى "حميد لحميداني" أن أنواع المكان تنقسم إلى قسمين، الأماكن المفتوحة والأماكن المغلوقة.

وفي الأخير نستنتج أن تنوع الأمكنة في الأصل تتشكل حسب طبيعة العمل الإبداعي.

أ- الأماكن المفتوحة:

المكان المفتوح هو مكان شاسع «يوحي المكان المفتوح بالاتساع والتحرر حيث يرتبط المكان المفتوح بالمكان المغلق ارتباطًا وثيقًا»[2]، والرابط بينهما هو الإنسان الذي ينطلق من المكان المغلق إلى المكان المفتوح.

«يكون هذا المكان المفتوح مسرحًا لحركة الشخصيات وتنقلاتها وتمثل الفضاءات التي تجد فيها الشخصيات كلها غادرت أماكن إقامتها الثانية مثل المدينة، الشوارع، المقاهي... الخ»[3].

ومن الأماكن المفتوحة في كتاب الطهطاوي نجد:

---

[1]- حميد لحميداني، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر، الدار البيضاء، ط3، 2000م، ص 72.

[2]- حفيظة أحمد بنية الخطاب في الرواية النسائية الفلسطينية (دراسة نقدية)، مركز أوغاريت الثقافي، دط، 1956م، 2000م، ص 166.

[3]- حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي (الفضاء، الزمن، الشخصية)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 2009م، ص 40.

1- البحر.

2- الجبال.

3- باريس.

4- الشوارع.

5- منتزهات باريس.

6- الأنهار.

- البحر:

إن البحر هو مكان فسيح شاسع، يعد مصدر رزق الإنسان كما هو مصدر هلع وخوف من جهة أخرى، وقد ورد ذكره في القرآن الكريم في مواضع عديدة منها قوله تعالى: ﴿**اللَّهُ الَّذِي سخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**﴾[1]، ولا ننسى أن الله تبارك وتعالى قد نجَّى نبيه موسى عليه السلام عن طريقه وأغرق فرعون وجنوده.

والبحر في أصوله اللغوية يشير إلى العمق والاتساع، وقد ذكر الطهطاوي البحر في الفصل الثالث من المقالة الأولى: إن البحر في كتاب الطهطاوي هو مكان مفتوح ويعتبر منطقة العبور والتنقل وذلك في قوله: «وكان ركوبنا هذا البحر عصر يوم الأربعاء، خامس يوم من رمضان»[2].

وورد ذكره في قوله: «ولازلنا نسير من غير شدة تحرك واضطراب نحو أربعة أيام، وبعدها عصفت الرياح وتموج ماء البحر وتلاعب بذات الألواح تلاعب الأشباح بالأرواح، فلازم أكثرنا الأرض وتوسل جميعنا بالشفيع يوم العرض»[3]، وفي هذا المقطع من الكتاب وصف لنا الطهطاوي لحظة غضب البحر وهوله الكبير بعدما كان يسير في

[1]- سورة الجاثية، الآية 12.

[2]- رفاعة رافع الطهطاوي، تخليص الإبريز في تلخيص باريز، ص 46.

[3]- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

يسر وسلامة، ونلاحظ هنا أن الطهطاوي أعطى للبحر حقه من الوصف الكامل والتأمل فقد جعل القارئ يتخيل تلك اللحظات ويتشوق لخوض غمارها.

وذكر البحر في كتاب الطهطاوي أثناء الذهاب والرجوع فنجد البحر عندما ذكره الطهطاوي أثناء انطلاق الرحلة يأخذ صفة المكان المعادي لأنه خلال رحلته شق طريق الهلع وشعر بالخوف هو ومن معه من هيجان البحر.

فالمكان المعادي هو «المكان الذي يأخذ تجسدات في السجن، الطبيعة، من البشر، الغربة، المنفى، ويتخذ هذا المكان صفة الأبوية بعمومية للسلطة في داخله»[1].

وذكر لنا أيضًا اعتقاد الركاب أنهم هالكون لا محال، ويظهر ذلك عندما لازم أكثرهم الأرض، فالمؤمن الصادق المفوض أمره لله لا يخشى من أمره الحكيم، فمهما كان العبد ضعيفًا فالله سميع بعبده فالدعاء درب الاستنجاد فهو لا يضيعه ولا يرجعه خائبًا، حيث قال:

لمـــا ركبـــا ببحـــر وكاد من خاف يتلف

على الكريم اعتمدنا حاشاه أن يتخلـــف[2]

ونجده أيضًا ذكر لنا البحر وركوبه أثناء رجوعه إلى مصر فيقول: «ولنذكر هنا رجوع العبد الفقير إلى مصر ليتم عرض هذه الرحلة فنقول: خرجنا من باريس في شهر رمضان سنة 1246 وسرنا نقصد مرسيليا لنركب البحر ونرجع إلى إسكندرية»[3].

- الجبال:

الجبل هو تضريس أرضي يرتفع عما حوله من الأرض في منطقة محددة، وتتميز بقمم صخرية حادة وسفوح شديدة الانحدار، وبها أيضًا قمم مرتفعة العلو، والجبل مكان موجود في الطبيعة وقد ورد الجبل في كتاب الطهطاوي كمكان العبور فقد شاهد جبلاً

[1]- سلمان كاصد، عالم النص (دراسة بنيوية في الأساليب السردية)، دار الكندي، الأردن، د ط، 2003م، ص 129.

[2]- رفاعة رافع الطهطاوي، تخليص الإبريز في تلخيص باريز، ص 46.

[3]- المصدر نفسه، ص 294.

شامخًا عند اليونان وورد ذلك في الفصل الرابع من المقالة الأولى فقال: «ورأينا على بعد جبلها الشامخ المسمى عند اليونان إيدَا»[1].

وشاهدو جبل يسمى منتثا وقد ذكره واصفًا إياه: «وهذا الجبل جبل نار، فإنه يخرج منه بالنهار دخان وبالليل لهب، وقد يقذف مواد حجرية محترقة»[2]، إن جبال النار أو كما تعرف بالبركان رغم خطورته إلا أنه تخرج من جوفها معادن ومواد خام يستفيد منها الإنسان، وعادة إن الأراضي المحيطة به خصبة وذكر لنا الطهطاوي المعايير الحقيقية لهذا الجبل من ارتفاع ودورة قاعدية ودائرة فوهته فيقول: «وقد ذكر أرباب رصد هذا الجبل أن ارتفاعه على ظهر سطح البحر ألف وتسعمائة قدم وثلاث أقدام وإن دورة قاعدته نحو خمسة وخمسين فرسخًا فرنساويًا ودائرة فوهته ربع فرسخ»[3].

- باريس:

هي عاصمة فرنسا وأكبر مدنها من حيث عدد السكان، تقع على ضفاف نهر السين في الجزء الشمالي من البلاد، تعرف باريس بمدينة الحب وعاصمة الموضة، لكن اللقب الأكثر شهرة هو مدينة النور وهو اللقب الذي حصلت عليه باريس لشهرتها كمركز للعلم والفكر خلال عصر التنوير، ونجد باريس مركز الإبداع والفن في العالم الغربي.

وقد ذكر الطهطاوي باريس في الفصل الأول من المقالة الثالثة واصفًا باريس قائلاً: «ثم إنَّ هذه المدينة مشقوقة ومحوطة بصوف أشجار مرصوصة على سمت الخطوط المتوازية لا يخرج بعضها عن بعض أبدًا وعلة منوالها بطريق شبرا "أبي زعبل" و"جهاد أباد" وهي مورقة في أيام البحر ويستضل المار بها من حر الشمس»[4].

إن مدينة باريس مدينة أثارت فضول وشغف الطهطاوي فانبهر بها واندهش لموافقها المختلفة جعلته يصفها لكل فروعها الكلية والجزئية، والطهطاوي لم يترك شيئًا

[1]- رفاعة رافع الطهطاوي، تخليص الإبريز في تلخيص باريز، ص 50.

[2]- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[3]- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[4]- المصدر نفسه، ص 71.

موجودًا في باريس إلا ووصفه باريس بالإضافة إلى كونها مكان مفتوح تعد المكان المركزي، والمكان المركزي هو: «الذي يقع فيه الإنجاز»[1]، مكان مركزي بالنسبة للطهطاوي لأنها المكان الذي تعلم فيه القراءة والكتابة وغيرهما وذلك قوله في الفصل الأول من المقالة الرابعة: «ثم لما ذهبنا إلى باريس مكثنا جميعًا في بيت واحد وابتدأنا في القراءة فكانت أشغالنا مرتبة على هذا الترتيب، وهو: إنا كنا نقرأ في الصباح كتاب تاريخ ساعتين، ثم بعد الغداء نتعلم درس الكتابة ومخاطبات ومحاورات باللغة الفرنساوية، ثم بعد الظهر درس رسم ثم درس نحو فرنساوي، وفي كل جمعة ثلاثة دروس من علمي الحساب والهندسة، وفي مبدأ الأمر كنا نأخذ في درسين: يعني في معرفة الكتابة الفرنساوية ثم بعد ذلك كنا نأخذ كل يوم درسًا، ثم انتهى الأمر إلى أن تعلمنا الخط، فانقطع عنا معلم الخط وأما الحساب والهندسة والتاريخ والجغرافيا فلم تزل ننشغل بها حتى سهل الله علينا بالرجوع»[2].

وتعد باريس المكان الذي ألف فيه الطهطاوي كتابه، وهي العنصر المساهم في إنجازه "الفكر والتشكيل" ورد ذلك في المقالة الرابع في الفصل الرابع فنجد قوله في بعض الممارسات بينه وبين بعض كبار علماء الفرنساوية أورد في كتابه صورة من مكتوب: والتي كانت من الداعي "سلرستري دساسي الباريزي":

- «إلى حبيبنا الشيخ رفاعة الطهطاوي حفظه الله وأبقاه أما بعدك، فإنه سيصلك مع هذا ما طلبته منا من الشهادة بأننا قرأنا الكتاب المشتمل على حوادث سفرك، ولكل ما أمعنت فيه النظر من أخلاق الفرنساوية وعوائدهم وسياساتهم وقواعد دينهم وعلومهم وآدابهم وجدناه مليحًا مفيدًا يروق الناظر فيه، ويحجب من وقف عليه ولا بأس أن نعرض خط يدينا على "مسيو جومار"، وإن شاء الله يحصل لك بمصنفك هذا خطوة عند حضرة سعادة الباشا وينعم عليك بما أنت أهله ودمت على أحسن حال.

[1]- رفاعة رافع الطهطاوي، تخليص الإبريز في تلخيص باريز، ص 197.

[2]- سمير المرزوقي وجميل شاكر، مدخل إلى نظرية القصة، ديوان المطبوعات الجامعية، الدار التونسية للنشر، الجزائر، د ط، د ت، ص 62-63.

محبك الدائي: سلرستري دساسي الباريزي »[1].

وهناك العديد من الأشياء التي قام بها الطهطاوي وتعرف عليها في باريس تعرف على عادة أهلها وألبستهم وأغذيتهم وغير ذلك، ويرد ذلك في قوله على عادة أهل باريس إن منا عادتهم النظافة فيقول: «وكما أن باريس نظيفة فهي خلية من السميات بل ومن الحشرات فلا يسمع بأن إنسانًا فيها لدغته عقرب أبدًا»[2].

وأما عن ملابسهم فيقول في الفصل السادس من المقالة الثالثة «من المعروف عندنا أن غطاء رأس الإفرنج (البرنيطة)، وأن نعالهم في الأكثر العرم السوداء والتاسومات وأن لباسهم في الغالب هو الجوخ الأسود»[3].

وتحدث عن أغذيتهم في الفصل الخامس من نفس المقالة فيقول «ويكثر في "باريس" شرب الشاي عقب الطعام لأنهم يقولون إنه هاضم للطعام، ومنهم من يشرب القهوة مع السكر، وفي عوائد أغلب الناس أن يفتتوا في القهوة المخلوطة باللبن ويتعاطوها في الصباح»[4].

- الشوارع:

الشارع ممر ذو ملكية هامة في البيئات العمرانية، إن الشارع تعد من أهم شرايين المدن «فقد احتل الشارع في الرواية العربية من قبل الروائيين الذين كتبوا روايات من المدن العربية مكانًا بارزًا وكانت له جمالياته المختلفة باعتباره مسارًا وشريانًا للمدينة»[5]، وقد ذكره الطهطاوي في قوله في الفصل الأول من المقالة الثالثة واصفًا إيَّاه بقوله «وسطح أرض باريس صنفان، فالأول "جبس" والثاني "طين". ماء نهر "السين بعد زيادته وأرضها مركبة من راقات مختلفة، فالراق الأول مزرعة طينية مرملة ذات حصى، الثاني

[1]- رفاعة رافع الطهطاوي، تخليص الإبريز في تلخيص باريز، ص 210.

[2]- المصدر نفسه، ص 124.

[3]- المصدر نفسه، ص 130.

[4]- المصدر نفسه، ص 127.

[5]- شاكر النابلسي، جماليات المكان في الرواية العربية، المؤسسة العربية للدراسة والنشر، بيروت، ط1، 1994م، ص95.

طفل مختلط بجبس وصدف، الثالث طفل صواني، الرابع طفل جبري صدفي، الخامس حجر الجير المخلوط بصدف، السادس البحر الملح، السابع طين شبيه بالإبليزي، الثامن من طباشر وجير مفحوم طباشيري»[1].

وقوله أيضًا «وفي المدينة عدة فسحات عظيمة تسمى المواضع، يعني الميادين كفسحة الرملية بالقاهرة في مجرد الاتساع لا في الوساخة، وعدها خمسة وسبعون ميدانًا وبهذه المدينة أبواب خارجية برانية كباب النصر بالقاهرة، وهي ثمانية وخمسون بابًا وبهذه المدينة أربع قنايات من صنف المسماة عيونًا وثلاثة دواليب لجري المياه بالنواعير إلا أنها عظيمة، وستة وثمانون صهريجًا ومائة وسبع عشر حنفية على الطريق»[2].

وهنا الطهطاوي يقارن بين فسحة القاهرة وفسحة باريس من حيث نظافة فسحة باريس ووساخة فسحة القاهرة، وبين الأبواب الخارجية للمدينة وشبهها بباب النصر بالقاهرة، وفي هذا الكتاب كان الشارع بالنسبة للطهطاوي خاليًا من الناس هادئًا أثار إعجابه.

-متنزهات باريس:

المتنزه أو الحديقة هي مساحة من الأرض مزروعة من صنع البشر بمختلف أنواع النباتات من الأزهار إلى الشجيرات فالأشجار الباسقة، وتكون منسقة الشكل ومجهزة لاستقبال الناس لممارسة أي نشاط يحبونه في الهواء الطلق.

لفظ "المتنزه" مشتق من النزهة التي تعبر عن التجول من تمتع بمناظر الطبيعة الخلابة للوصول بذلك إلى قمة الراحة والسعادة.

إن البلاد الأوروبية تختلف عن البلاد العربية بحسن تنظيمها وكثرة حدائقها ومتنزهاتها خاصة باريس، فهي تمتلك حدائق عامة عظيمة يمكننا أن نقول أنها جنات من صنع الإنسان، ووصفها الطهطاوي في الفصل السابع من المقالة الثالثة قائلاً: «ومن

[1]- رفاعة رافع الطهطاوي، تخليص الإبريز في تلخيص باريز، ص 80.

[2]- المصدر نفسه، ص 81.

متنزهات باريس الحدائق العظيمة العامة، ففي باريس نحو أربعة بساتين كبرى يتماشى فيها العام والخاص، فمنها حديقة "التولري" التي بها قصر الملك وهي من أعظم المتنزهات »[1]، «وحديقة الشمزليزه ومعناه بالعربية رياض الجنة، وهي من أرقى المتنزهات وأنظرها»[2]، وهي حديقة شاسعة المساحة، وهذه الحدائق لا تخلو من المرافق العامة وتتصل بهذه الحديقة في أحد جوانبها "بنهر السين"«وبجانبها الآخر بيوت بأطرف الخلاد وفيها كثير من القهاوي (الرسطواطورات) يعني بيوت الأكل وفيها سائر أنواع الطعام والشراب وهي مجمع الأحباب والأكابر»[3].

إضافة إلى وجود متنزه يسمى "البلوار"«وهي محل يتماشى فيها سائر الناس في سائر الأيام وفيه أعظم قهاوي باريس وتدور فيه الآلاتية المتنقلون بآلاتهم وفيه كثير من محال (التياترات) »[4].

ويوجد أيضًا متنزهات تباع فيها جل أنواع النباتات والأزهار وإلى غير ذلك من الأشجار «ومن المتنزهات أيضًا سوق تباع فيه الأزهار، وفي هذا السوق تجد سائر الأشجار والنباتات والأزهار الغريبة النادرة ولو في غير أوانها»[5].

- الأنهار:

النهر هو مجرى مائي يصب في البحر وهو يتألف عادة من مجرى رئيسي تغذيه السواعد والفروع.

ذكر الطهطاوي النهر في الفصل الأول من المقالة الثالثة في قوله: «ويشقها نهران أحدهما -وهو الأعظم- يقال له "نهر السين" بفتح السين والآخر نهر غوبلان»[6].

---

[1]- رفاعة رافع الطهطاوي، تخليص الإبريز في تلخيص باريز، ص 138.

[2]- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[3]- المصدر نفسه، ص 139.

[4]- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[5]- المصدر نفسه، ص 140.

[6]- المصدر نفسه، ص 76.

وتعد مياه نهر السين من أنفع المياه بما تعود به من فائدة كبيرة على صحة الأبدان «ويفرع على ذلك اعتبار مائها في فن الطب من الأمور المناسبة لصحة الأبدان وأنه يحسن تطييب وطبخ الخضراوات بها دون غيرها وتحليل الصابون بها للغسل ونحو ذلك»[1].

ويتكون من ثلاث جزر «وفي نهر السين ثلاث جزائر: إحداها تسمى "جزيرة الميتة" وكان بها باريس القديمة»[2].

وقارن الطهطاوي بين النزهة في نهر السين ونزهته على نهر النيل، فرغم ما يتميز به نهر السين من نظافة خلابة ومنظر جميل إلا أنَّ الطهطاوي يفضل نزهته على نهر النيل (نهر بلاده)، ويفضل طعم ماء نهر النيل على نهر السين فيقول: «وشتان بين هذا وبين النيل والروضة والمقياس، فإن نزهة الإنسان في الروضة والمقياس لا تضاهى، لأن الخليج يعبر مصر والصين يعبر طباريس إلا أن نهر السين بتمامه يشق باريس وتجري به السفن عظيمة الوسق، وبه الأرصفة الجيدة والنظافة على حوافيه ومع ذلك فنزهته غير سارة وشتان أيضًا بين ماء "النيل" و"السين" من جهة الطعم وغيره»[3].

ولم يستحسن الطهطاوي نهر السين أيام البرد ووقت المساء لشدة البرد فيقول: «قد يبلغ في وقت الشتاء ثماني درجات من الجمود والانعقاد حتى أنه يمكن أن يداس عليه بالعربات»[4].

ب- الأماكن المغلقة:

يقصد بها الأماكن المحددة بحدود تفصلها عن العالم الخارجي وهي تتصف بالضيق وقد توحي هذه الأماكن والألفة مثل: (الغرفة،البيت...) أو توحي بالوحدة والخوف مثل (السجن) «إن الحديث عن الأمكنة المغلقة هو حديث عن المكان الذي حددت مساحته

[1]- رفاعة رافع الطهطاوي، تخليص الإبريز في تلخيص باريز، ص 76.

[2]- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[3]- المصدر نفسه، ص 76.

[4]- المصدر نفسه، ص 78.

ومكوناته كغرف البيوت والقصور فهي المأوى الاختياري والضرورة الاجتماعية أو كأسيجة السجون فهو المكان الإجباري المؤقت فقد تكشف الأمكنة المغلقة عن الألفة والأمان أو قد تكون مصدر للخوف»[1].

ومن بين أبرز الأمكنة المغلقة في كتاب الطهطاوي نجد:

1-الإسكندرية

2-الأوض (الغرف)

3-البيت

4-بيت الكرنتيتة

5-بيوت أهل باريس

6-القصر

7-المسرح

8-الحمامات

- الإسكندرية:

مكان مغلق للمرور فقد خرج الطهطاوي من مصر متوجهًا إلى الإسكندرية وبقي فيها مدة من الزمن ليكمل بعدها رحلة إلى باريس التي تعتبر مكانًا للاستقرار فهي الوجهة المقصودة من رحلة الطهطاوي «وكان دخولنا الإسكندرية يوم الأربعاء (ثالث عشر يومًا) من شهر شعبان، فمكثنا فيها ثلاثة وعشرين يومًا في (سراية) الولاية بها»[2]، لم يسهب الطهطاوي في وصفه لمدينة الإسكندرية لأن خروجه كان قليلاً «وكان خروجنا إلى البلد في هذه المدة قليلاً فلم يسهل لي ذكر شيء من شأنها»[3] إلا أنه شبهها ببلاد الإفرنج بسبب كثرة الإفرنج بها وتميزها عن غيرها من بلاد مصر وبعد وصوله إلى مدينة مرسيليا تأكد

[1]- مهدي عبيدي، جماليات المكان في ثلاثية حنامينة، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق-سوريا، د ط، 2011م، ص43.

[2]- رفاعة رافع الطهطاوي، تخليص الإبريز في تلخيص باريز، ص 39.

[3]- المصدر نفسه، ص 39.

الطهطاوي بأن الإسكندرية هي عينة لمرسيليا «غير أنه ظهر لي أنها قريبة الميل في وصفها وحالها إلى بلاد الفرنج، وإن كنت وقتئذٍ لم أر شيئًا من بلاد الإفرنج أصلاً وإنما فهمت ذلك مما رأيته فيها دون غيرها من بلاد المصر ولكثرة الإفرنج بها، ولكون أغلب السوقة يتكلم ببعض شيء من اللغة الطليانية ونحو ذلك، وتحقق ذلك عندي بعد وصولي إلى "مرسيليا" فإن إسكندرية (عينة) "مرسيليا" وأنموذجها ولما ذهبت إليها سنة 62 وجدتها قطعة من أوروبا»[1].

- الأوض "الغرف":

من الأماكن المغلقة عن العالم الخارجي وهي تعتبر مملكة الإنسان يجد فيها الحماية والحرية والراحة.

وصف الشيخ الطهطاوي الأوض (الغرف) التي رآها أثناء إقامته في مدينة باريس بإسهاب، فذكر نوع الحيطان والطلاء، ونوعية القرميد المستعمل والمدخنة والساعة وغيرها «ثم إن حيطان الغرفات والأرش من خشب كما تقدم وهم يطلونه بالطلاء، ثم يسترون الحيطان بورق منقوش نقشًا نظيفًا... وأرض أوضهم مبلطة بخشب أو بنوع من القرميد الأحمر... وحول الساعة من الجهتين أنه من تقليد الرخام الأبيض أو من البلور فيها أزهار أو تقليد أزهار... وفي غالب أوضهم آلات الموسيقى المسماة "البيانو"»[2].

وتوجد غرف مخصصة للشغل والقراءة وتضم الكثير من الأشياء «فإذا كانت "الأوضة" أوضة شغل وقراءة ففيها طاولة مشتملة على آلات الكتابة وغيرها... وربما رأيت على طاولة الشغل أوراق الوقائع على اختلاف أجناسها»[3].

كما نقل الطهطاوي ما شاهده في أوض الأكابر «كذلك في (أوض) الأكابر (النجفات) العظيمة التي توقد بشموع العسل... وينزه خاطره في قراءة هذه الأشياء»[4].

---

[1]- رفاعة رافع الطهطاوي، تخليص الإبريز في تلخيص باريز، ص 59.

[2]- المصدر نفسه، ص 120.

[3]- المصدر نفسه، ص 120.

[4]- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

يمكن من خلال هذا الوصف معرفة مستوى ونوعية الشخصيات التي تمكث بهذا المكان، فللمكان أهمية في بناء الشخصية فهم أشخاص يحبون النظافة كما أنهم مثقفون ويهتمون بالقراءة، والدليل على ذلك احتواء غرفهم على جميع الكتب المستجدة «وربما رأيت أيضًا في (أوضهم) في يوم تبقى الناس طاولة وعليها جميع الكتب المستجدة والوقائع وغيرها لتسلية من أراد من الضيوف أن يسرح ناظره، وينزه خاطره في قراءة هذه الأشياء وهذا يدل على كثرة اهتمام الفرنساوية بقراءة الكتب فهي أنسهم»[1].

- البيت:

مكان مغلق ويعتبر مصدر لراحة الإنسان من كل متاعب الحياة، وهو ملجأ يلجأ إليه الإنسان للاستقرار فيه.

«وقد شغل البيت حيزًا مهمًا في حياة الإنسان، إذ أن البيت هو ملجأ كل إنسان بعد يوم من العناء والشقاء والعمل، وهو غالبًا ما يكون مصدر الراحة والأمن والطمأنينة التي يسعى إليها كل شخص، ويرتبط البيت بذكريات مهمة في حياة الشخص تسهم في تشكيل شخصيته، ويعتمد هذا على حجم البيت وشكله وعلى من يعيش فيه»[2].

- بيت للكرنتينة:

أول بيت أقام فيه الطهطاوي عند وصوله لفرنسا وهو يقع خارج مدينة مرسيليا أقام فيه مدة ثمانية عشر يومًا -لا يخرج منه أبدًا- فتلك كانت عادة الفرنسيين «أن من أتى من البلاد الغربية لابد أن (يكرتن) قبل أن يدخل المدينة[3]».

هذا البيت بالنسبة للطهطاوي كان بيتًا للاستراحة لعد السفر الطويل، فهو بيت يتميز بمساحته الشاسعة، ويوجد به حدائق وحياض ورياض للتنزه فيها ترويحًا عن النفس

[1]- رفاعة رافع الطهطاوي، تخليص الإبريز في تلخيص باريز، ص 120.

[2]- مهدي عبيدي، جماليات المكان في ثلاثية حنامينة، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق-سوريا، د ط، 2011م، ص48.

[3]- رفاعة رافع الطهطاوي، تخليص الإبريز في تلخيص باريز، ص 57.

«ومكثنا في هذا المحل ثمانية عشر يومًا لا نخرج منه أبدا غير أنه متسع جدًا وفيه حدائق عظيمة ومحال متسعة للتماشي فيها»[1].

انبهر الطهطاوي بما شاهده في هذا البيت من أمور مختلفة عما هو سائد في بلاده آنذاك، ولذلك وصفها بالأمور الغريبة «ولم نشعر في أول يوم إلا وقد حضر لنا أمور غريبة في غالبها، وذلك أنهم أحضرو لنا عدة خدم فرنساوية لا نعرف لغاتهم، ونحو مائة كرسي للجلوس عليها لأن هذه البلاد يستغربون الجلوس على نحو سجادة مفروشة على الأرض فضلاً عن الجلوس بالأرض»[2].

وصف الطهطاوي بدقة السفرة وما تحتويه من أشياء «ثم مدوا السفرة للفطور، ثم جاءوا بطليات عالية، ثم رصوها من الصحون البيضاء الشبيهة بالعجمية، وجعلوا قدام كل صحن قدحًا من (القزاز) وسكيناً وشوكة وملعقة، وفي كل طبلية نحو قزازتين من الماء، وإناء فيه ملح وآخر فيه فلفل، ثم رصوا حوالي الطبلية كراسي لكل واحد كرسي»[3]، وهذا يدل على اهتمام الفرنسيين بالترتيب والتنظيم.

أعجب الطهطاوي بمظاهر التقدم والحضارة «ولاسيما عندما قارنها بحياة بلاده المتأخرة آنذاك»[4].

- بيوت أهل باريس:

وصف الطهطاوي بيوت أهل باريس وصفاً يعكس صورة واضحة لهذه البيوت «إن البيت في العادة مصنوع من أربع طبقات، بعضها فوق بعض ماعدا البناء الأرضي فلا يحسب دورًا وقد يصل إلى سبعة أدوار، وغيرها تحت الأرض من المخادع التي تستعمل أيضًا لربط الخيل أو المطبخ وذخائر البيت، وخصوصًا النبيذ والخشب للوقود»[5].

[1]- رفاعة رافع الطهطاوي، تخليص الإبريز في تلخيص باريز، ص 59.

[2]- المصدر نفسه، ص 58.

[3]- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[4]- حسين محمود حسين، أدب الرحلة عند العرب، دار الأندلس، بيروت-لبنان، ط2، 1983، ص 73.

[5]- رفاعة رافع الطهطاوي، تخليص الإبريز في تلخيص باريز، ص 121.

ويرى الطهطاوي أن هناك تشابه بين بيوتهم وبيوت القاهرة من حيث تعدد المساكن داخل البيت الواحد، «ثم إن البيت عندهم كما في بيوت القاهرة مشتمل على عدة مساكن مستقلة، ففي كل دور من أدوار البيت جملة مساكن، وكل مسكن متنافذ (الأوضات)»[1]، وتنقسم البيوت عندهم حسب أحوال الساكنين إلى ثلاث مراتب: «وقد جرت عادتهم بتقسيم البيوت إلى ثلاث مراتب: المرتبة الأولى بقي عادي والثانية بيت أحد من الكبار، والثالث: بيوت الملك وأقاربه ودواوين المشهورة ونحوها، فالأول يسمى: بيتًا، والثاني يسمى: دارًا، والثالث يسمى: قصرًا أو سراية»[2].

ويوجد تقسيم آخر تقسم فيه البيوت إلى ثلاث مراتب أيضًا «ويمكن أيضًا تقسيم البيوت من حيثية أخرى إلى ثلاث مراتب أيضًا: المرتبة الأولى: البيوت التي لها حاجب، ولها باب يسع دخول العربة منه، والثانية: البيوت التي داخلها دهاليز ولها أبواب ولا يمكن أن تدخل العربة من بابها، والثالثة البيوت التي لا بواب لها، أي لا مكان للبواب فيها يسكن فيه»[3].

تتميز بيوت الفرنساوية بالنظافة، أعجب الطهطاوي بهذه الصفة وقام بمدحها والثناء عليها: «ومما يمدح به الفرنساوية نظافة بيوتهم من سائر الأوساخ وإن كانت بالنسبة لبيوت أهل الفلمنك كلاشيء، فإن أهل الفلمنك أشد جميع الأمم نظافة ظاهرية كما أن أهل مصر في قديم الزمان كانوا أيضًا أعظم أهل الدنيا نظافة، ولم يقلدهم في ذراريهم وهي القبطة في ذلك»[4].

إذًا الشيخ الطهطاوي يحاول تصوير ما يراه تصويرًا واقعيًا وبكل تفصيل من أجل نقل التطور الذي لا يتعارض مع الدين الإسلامي لمصر، ومنها للعالم العربي: «ومحاولة

[1]- رفاعة رافع الطهطاوي، تخليص الإبريز في تلخيص باريز، ص 121.

[2]- المصدر نفسه، ص 121.

[3]- المصدر نفسه، ص 122.

[4]- المصدر نفسه، ص 123-124.

تلقيح الحياة المصرية بالكثير من مظاهرها التي رضي بها ورآها تتعارض بل وتتفق مع ما في كتاب الله العزيز»[1].

- القصر:

شاهد الطهطاوي القصور الملكية في باريس وقام بوصفها في كتابه "تخليص الإبريز في تلخيص باريز"، وقد أعجب بالتواضع الذي تتصف به هذه القصور، فهي تفتح أبوابها لعامة الناس للفرجة والاطلاع عليها وذلك عند خروج السلطان وأقاربها منها وذهابهم في عطلة «ومن الفوائد التي لا بأس بها أن قصر ملك فرنسا وقصور أقاربه تتفتح حين خروج السلطان وأقاربه كل سنة إلى الإقامة في الخلاء مدة شهر، فيدخل سائر الناس للفرجة على بيت الملك وأقاربه»[2].

وقد دخلها الطهطاوي عدة مرات، وقد رأى فيه أشياء غريبة، وأمور عجيبة، منها الصور التي قال عنها: «لا تمتاز عن الناس إلا بعدم النطق»[3].

استحسن وأحب الطهطاوي جودة صنع الأشياء الموجودة داخل القصر، «وأغلب الأشياء الموجودة في حريم السلطنة مستحسنة من جملة صناعتها لا نفاستها بالمادة»[4]، وقام بوصفها «مثلاً سائر الفراش كالكراسي والأسِّرة حتى كراسي المملكة مشغولة شغلاً عظيمًا بالقصب المخيش ومطلية بالذهب»[5].

كما أشار إلى الفرق بين بيوت الأمراء الكبار في فرنسا وبيوتهم في البلاد العربية (مصر) «إلا أنه لا يوجد بها كثير من الأحجار الكريمة كما يوجد ببلادنا بيوت الأمراء الكبار بكثرة، فمبنى أمور الفرنساوية في جميع أمورهم على التجمل لأعلى زينة وإظهار

[1]- حسين محمود حسين، أدب الرحلة عند العرب، دار الأندلس، بيروت-لبنان، ط2، 1983، ص 73.

[2]- رفاعة رافع الطهطاوي، تخليص الإبريز في تلخيص باريز، ص 122.

[3]- المصدر نفسه، ص 123.

[4]- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[5]- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

الفنى والتفاخر»[1]، وهو في هذه المقارنة كان يتمنى اقتداء مصر بالنموذج الفرنسي، فالأهم بالنسبة له هو الإتقان في صنع الأشياء وعدم المبالغة في الزينة والابتعاد عن التفاخر.

- المسرح (التياتر، السبكتاكل):

هو المكان الذي تمثل فيه المسرحية، ففيه تتحول القصة أو النص المكتوب (المسرحية) إلى عرض تمثيلي يؤديه على خشبة المسرح أمام المشاهدين.

شاهد الطهطاوي (التياتر، السبكتاكل) في باريس وهو من أماكن التسلية عندهم، ورأى بأنه جد في هيئة هزل، فهو يهذب حياة الإنسان ومنها يتعلم الصالح من الأمور ولكن بطريقة الهزل «فإن الإنسانيأخذ منها عبرًا عجيبة... فهي وإن كانت مشتملة على المضحكات فكم من المبكيات... وقد تصلح العوائد باللعب»[2]، وقد شبهه بالمدرسة العامة التي يتعلم فيها العالم والجاهل.

انبهر الطهطاوي بعظمة هذه المسارح «وصورة هذه التياترات أنها بيوت عظيمة... وهو منور (بالنجفات) العظيمة، وتحت ذلك المقعد محل لآلاتيه، وذلك المقعد يتصل بأروقة فيها سائر آلات اللعب»[3].

وتوجد أنواع مختلفة من (التياترات) في مدينة باريس، فمنها ما يسمى "الأوبرة" وهو أكبر السيكتاكلات، ويوجد أيضًا (تياتر) "كوميك" و"تياتر الطليانة" و"تياتر فرنكوني"«وهذه كلها من (السيكتاكلات) الكبيرة»[4].

أما أصغر تياتر فيسمى تياتر (الكمت) مخصصة للصغار شبهه بالحاوي في مصر.

دعى الشيخ الطهطاوي إلى الانفتاح على التراث الإنساني العام من فنون وغيرها مع الحفاظ على الخصوصية الثقافية للأمة الإسلامية وعدم الإخلال بالهوية العربية الإسلامية.

---

[1]- رفاعة رافع الطهطاوي، تخليص الإبريز في تلخيص باريز، ص 133.

[2]- المصدر نفسه، ص 133.

[3]- المصدر نفسه، ص 133-134.

[4]- المصدر نفسه، ص 135.

أشار الطهطاوي إلى أن كلمة سيكتاكل أو تياتر اسم ليس عربي، فهو اسم غربي، إسيكتاكل يعني منظر أو متنزه أو نحو ذلك «ولفظ التياتر معناه الأصلي كذلك، ثم سمي بها اللعب ومحله، وبقرب أن يكون نظيرها أهل اللعب المسمى خياليًا، بل الخيالي نوع منها، وتشتهر عند الترك باسم (كمدية) وهذا الاسم قاصر إلا أن يتوسع فيه، ولا مانع أن تترجم لفظ (تياتر) أو سيكتاكل بلفظة: خيالي، ويتوسع فيه معنى هذه الكلمة، ويقترب من تصوير (السيكتاكل) أو هو منها مواضع يصور فيه الإنسان منظر بلد أو أراضٍ أو نحو ذلك»[1].

- الحمامات:

من الأماكن المغلقة والتي تحمل العديد من المنافع لجسم الإنسان وروحه أيضًا.

شاهد الطهطاوي حمامات باريس أثناء إقامته فيها، وقام بعقد مقارنات بين حمامات باريس وحمامات مصر، ورأى بأنهما يختلفان شكلاً ومضمونًا، وقد أحب ما تتميز بها حمامات باريس من تنوع ونظافة، لكنه يرى أن حمامات مصر أفضل وأنفع «والحمامات في باريس متنوعة، وفي الحقيقة هي أنظف من حمامات مصر غير أن حمامات مصر أنفع منها وأتقن وأحسن في الجملة»[2].

الطهطاوي وصف حمامات باريس وصفًا يتيح المجال لتخيل هذه الحمامات فيقول: «الحمام في مدينة باريس عدة خلوات، في كل خلوة مغطس من نحاس يسع الإنسان فقط، وفي بعض الخلوات مغطسان»[3]، أعجب الطهطاوي بحرص الفرنسيين واهتمامهم بخصوصية الإنسان داخل الحمام «ليس عندهم مغطس عام كما في مصر، ولكن هذه العادة أسلم بالنسبة للعورة، فإنه لا طريقة أن يطلع إنسان على عورة آخر، حتى أن الخلوة التي فيها مغطسان بين كل مغطس ستارة تمنع أن ينظر الإنسان صاحبه»[4].

[1]- رفاعة رافع الطهطاوي، تخليص الإبريز في تلخيص باريز، ص 135.

[2]- المصدر نفسه، ص 141.

[3]- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[4]- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

أما ما لم يعجب الطهطاوي فهو عدم وجود حرارة في الخلوة، بل توجد في المغطس فقط، والإنسان لا يعرق بها أبدًا، وبذلك تقل درجة الانتفاع في حمامات باريس، لكن إذا أراد أحدهم أن يوصي على حمام بالبخار فيصنعون له ذلك بثمن آخر، والحمام مزود يصنفان من الخلاوي: صنف للرجال وصنف للنساء.

إن الحمامات في باريس متنوعة، فمنها حمامات مستقرة وحمامات متنقلة تستعمل للمرضى، وحمام يسمى نصف حمام وهذا يدل على حرص الفرنسيين واهتمامهم بالنظافة وصحة البدن «وكما أنه يوجد حمامات مستقرة يوجد حمامات منقولة، فإذا طلب الإنسان حمامًا في بيته أو كان مريضًا أو نحو ذلك فإنهم يحملون إليه في عربة كالبرميل الماء البارد في شقة، والساخن في أخرى ومعها مصم، فيوضع المصم في بيت الإنسان... ومن الحمامات حمام يضع فيه الإنسان بعض بدنه لبعض الأمراض فيسمى نصف حمام، والحمامات بباريس كثيرة وأشهرها ثلاثون حمامًا تقريبًا»[1].

[1]- رفاعة رافع الطهطاوي، تخليص الإبريز في تلخيص باريز، ص 142.

خاتمة

خاتمة:

من خلال دراستنا للبنية المكانية في رحلة "تخليص الإبريز في تلخيص باريز" لرفاعة رافع الطهطاوي، تمكنا من رصد مجموعة من النتائج أهمها:

- يعتبر أدب الرحلات أحد الأنواع الأدبية الغنية بالمعلومات التاريخية والجغرافية والسياسية.
- النص الرحلي تتداخل فيه أجناس أدبية متعددة مثل (الشعر والحكي والسيرة والرسالة...الخ)، وهذه الأجناس تختلف من نص رحلي إلى آخر.
- في أدب الرحلة يتوقف الرحالة (الذات الكاتبة) من السرد ليقدم وصفًا (لأماكن أو أشخاص أو أشياء) أو ليقدم معلومات أو ليسوق شعرًا.
- للوصف وظيفة هامة داخل البنية السردية للرحلة، وهو بمثابة ركيزة من الركائز الأساسية التي يقوم عليها أدب الرحلات.
- كتاب رفاعة رافع الطهطاوي "تخليص الإبريز في تلخيص باريز" من أهم الكتب العربية التي وضعت خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر باعتباره أداة للتنوير والحداثة في العصر الحديث.
- يتضمن كتاب "تخليص الإبريز في تلخيص باريز" ما شاهده الشيخ رفاعة رافع الطهطاوي أثناء بعثته بباريس، وفيه وصف لأحوال فرنسا وطبائع أهلها وعاداتهم في جميع مناحي الحياة، وأحوالهم المعيشية والسياسية والاجتماعية.
- شاهد الطهطاوي في فرنسا ما لم يشاهده من قبل في بلاده مصر، فمدح ما أعجبه وانتقد ما لم يعجبه، وعقد مقارنات بين مصر وفرنسا.
- نقل الطهطاوي ما شاهده في رحلته وتميز بوصفه الدقيق للأماكن التي زارها فعكس بذلك صورة واضحة عنه.
- المكان في كتاب الشيخ الطهطاوي "تخليص الإبريز في تلخيص باريز" تحدد بشكل واضح وانقسم إلى قسمين: مكان مفتوح ومكان مغلق.

- يعتبر المكان عنصرًا من العناصر الأساسية في العمل الأدبي.
- وصف الأماكن يعكس صورة الشخصيات، ويكشف بعدها النفسي والاجتماعي والثقافي.
- وظف الطهطاوي الأماكن على أنها أماكن حقيقية فكانت كلها بأسمائها الحقيقية وبموقع جغرافي واقعي.
- الشيخ الطهطاوي يدعو إلى الإصلاح المادي والمعنوي مع اتخاذ الأصالة الدينية مبدأ للإصلاح في جميع جوانبه.
- دعا الشيخ رفاعة رافع الطهطاوي في كتابه "تخليص الإبريز في تلخيص باريز" إلى التعرف على الغرب وعلى الحضارة الغربية وأسباب التقدم والتطور الغربي، كما نادى بضرورة الحفاظ على الهوية العربية الإسلامية والتمسك بتعاليم الدين الإسلامي الحنيف.

وفي الختام نسأل الله عز وجل السداد والتوفيق، ونرجو أننا قد أسهمنا ولو بجزء قليل في إعطاء لمحة وجيزة عن البنية المكانية في رحلة "تخليص الإبريز في تلخيص باريز"، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الملاحق

- التعريف بالمؤلف رافع الطهطاوي:

ولد رفاعة رافع الطهطاوي بن بدوي بن محمد بن علي بن رافع في 15 أكتوبر 1801م[1]، في مدينة طهطا بجنوب معبد مصر، كنا ميلاده هو العام الذي انسحبت فيه الحملة الفرنسية دون أن تحقق طموحها السياسي[2]، وهو من عائلة شربفة النسب[3]، نشأ في عائلة من القضاة ورجال الدين فلقي عناية من أبيه حيث حفظ القرآن الكريم، وبعد وفاة والده رجع إلى موطنه طهطا، وهو في عمر السادسة عشر بدأ يدرس مختلف العلوم، علوم النقل والعقل وعلوم الدين واللغة، وبعض كتب التصوف[4]، وفي عام 1817م التحق بالأزهر[5]، كان تلميذاً نجيبًا وذلك ما أعانه على إتمام تحصيل العلم في زمن قياسي، فتخرج من الأزهر بعد ست سنوات، وفي عام 1821م أصبح مدرسًا، كما تتلمذ على يد الكثير من الشيوخ الأفاضل فأثروا على تعليمه تأثيرًا بالغًا[6].

بدأ المنعطف الكبير في حياة الطهطاوي فنجد «أن تعلم الكثير من العلوم على يد شيخه حسن العطار (1760-1835م) وهو أحد العلماء الكبار في مصر الذي تعرف على مختلف علوم أوربا، ولعل الطهطاوي قد تعلم من أستاذه "العطار" الكثير من هذه العلوم، ففضل أستاذه عليه كان أعظم وأوسع مدى، فهو الذي سعى بتعيينه إمامًا لفرقة من فرق

[1]- محمد عمارة، رفاعة رافع الطهطاوي، رائد التنوير في العصر الحديث، دار الشروق، مصر، ط3، 2007م، ص40.

[2]- رفاعة رافع الطهطاوي، المرشد الأمين للبنات والبنين، تق: منى أحمد أبو زيد، دار الكتاب المصري، القاهرة-مصر، دط، 2012م، ص 21.

[3]- نقولا زيادة، أعلام عرب محدثون من القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت-لبنان، دط، 1994م، ص 47.

[4]- طه وادي، ديوان رفاعة رافع الطهطاوي، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط2، 1984م، ص 10.

[5]- رفاعة رافع الطهطاوي، تخليص الإبريز في تلخيص باريز، ص 319.

[6]- صلاح زكي أحمد، أعلام النهضة العربية الإسلامية في العصر الحديث، مركز الحضارة الغربية، القاهرة-مصر، دط، 2001م، ص 24.

الجيش المصري الجديد ثم إمامًا لأول بعثة رئيسة أرسلها محمد علي بدراسة في باريس، وقد تركت كل هذه الأعمال أثرًا في نفسه»[1].

وقد عرف بنفسه قائلاً: «أما بعد فيقول العبد الفقير إلى إمداد سيده ومولاه... رفاعة ابن المرحوم السيد بدوي رافع الطهطاوي بك الحسنى نسب الشافعي المذهب، منَّ عمليَّ الله سبحانه وتعالى بطلب العلم بجامع الأزهر... الذي هو جنة علم دانية الثمار، وروضة فهم يافعة الأزهار»[2]، فمن خلال مقولته هاته الطهطاوي عرف نفسه بنفسه، فهو شافعي المذهب ومن عائلة عريقة، ويذكر أنه درس في جامع الأزهر وتعلم فيه العلوم.

في عام 1826 سافر الطهطاوي خارج لأول مرة في حياته إلى فرنسا ضمن بعثة أرسلها محمد علي على متن سفينة حربية فرنسية "لا ترويت La truite" لدراسة اللغات والعلوم الأوروبية الحديثة، وكان عمره حينها 24 عامًا، ومنذ اللحظة الأولى من سفر رفاعة الطهطاوي حدد طريقه الذي يسلكه في هذه الرحلة، وعرف مناه وأدرك غايته[3].

والطهطاوي لم يكن قارئًا فقط بل كان يراقب ويدقق فيما يدور حوله من أحداث سياسية واجتماعية وعلمية، وكان يدقق النظر في تكوين المجتمع الفرنسي وتقاليده ومكوناته الحشارية وعلاقاته السياسية والفكرية.

وبعد أن عاد من بعثته إلى باريس عام 1831م، اشتغل مترجمًا في مدرسة الطب، ويبدوا أنه كان مصححًا محررًا أكثر منه مترجمًا، ثم نقل مترجمًا بمدرسة الطريجة بطرة، وحيث أنشئت مدرسة المترجمة عام 1835م، وسميت فيما بعد بمدرسة الألسن عهد إلى رفاعة بإدارتها، وقد استئت أصلاً برغبة الطهطاوي كما يقول علي مبارك، إذ عرض مبارك إذ عرض رفاعة للجانب العالي أن في إمكانه أن يؤسس مدرسة السن

[1]- ألبرت حوراني، الفكر العربي في عصر النهضة 1798-1939، ترجمة: عز قون، دار النهار للنشر والتوزيع، بيروت-لبنان، دط، ص 89.

[2]- نقولا زيادة، أعلام عرب محدثون من القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت-لبنان، دط، 1994م، ص 47.

[3]- حسن فوزي النجار، رفاعة الطهطاوي رائد الفكر وإمام النهضة، مكتبة مصر، القاهرة-مصر، دط، د.ت، ص 70.

يمكن أن ينتفع بها الوطن، ويستغني من الدخيل فأجابه إلى ذلك ووجهه إلى الأقاليم لينتخب منها من التلامذة ما يتم به المشروع فأسس المدرسة.[1]

وفي عام 1854م تولى الحم الخديوي سعيد، فعاد رفاعة إلى مصر، وكان سعيد منشغلاً بالجيش فأنشأ مدرسة حربية عام 1855م لإعداد الضباط وعيَّن رفاعة ناظرًا لها، فضبغ المدرسة الجديدة بصبغة مدنية فجعل دراسة اللغة العربية واجبة، وألحق بها قلمًا للترجمة فكأنه أراد إحياء عهد مدرسته القديمة الحبيبة إلى نفسه وهي مدرسة الألسن.

عاش الطهطاوي في ظل الخديوي إسماعيل عشر سنوات من 1863 إلى 1873م وعادت له الحيوية، وازدهرت أنشطته وفتحت أمامه مرة أخرى أبواب العمل في التربية والتعليم والترجمة، فاقترب نشاطه مما كان عليه أيام محمد علي، فأنشأ إسماعيل "ديوان المدارس" وعين رفاعة رئيسًا له.

وفي عام 1870م قرر ديوان المدارس إصدار مجلة فكرية وثقافية وأدبية وهي "روضة المدارس" وقرر الديوان إسناد رئاسة تحريرها إلى رفاعة الطهطاوي وظل التحرير إلى أن توفي عام 1873م[2].

ثانيًا: مؤلفاته وترجماته:

الطهطاوي موسوعة في الترجمة لأنه ترجم كمًا هائلاً من كتب التاريخ والجغرافيا والعلوم والهندسة والشعر والأدب والطب، وقد بلغت ترجماته 27 ترجمة منها:

- تخليص الإبريز في تلخيص باريز.
- القانون المدني الفرنسي في عام 1868م
- رسالة المعادن في عام 1867.
- المنطق في عام 1838م.
- نبذة في علم سياسات الصحة.

[1]- جمال الدين الشيال، رفاعة رافع الطهطاوي، دار المعارف، مصر، دط، 1958م، ص 20.

[2]- عبد الرحمان علي، دور الفكر التربوي للشوكاني ورفاعة الطهطاوي للتأسيس والنهضة والتطوير من خلال القرن التاسع عشر، الجامعة الأردنية، دط، دت، ص 86-89.

- الدستور الفرنسي.
- أطلس جغرافي في عام 1834م

ثالثًا: حول الكتاب

"تخليص الإبريز في تلخيص باريز" هو كتاب ألفه رفاعة رافع الطهطاوي كتبه باللغة العربية وينتمي إلى أدب الرحلة، عدد صفحاته 322 صفحة، طبع أول مرة في مطبعة بولاق عام 1834م وفي 1849م أصدر طبعته الثانية.

وفي عام 1958م قام الدكاترة مهدي علام وأحمد لوقا وأحمد بدوي بتحقيق الكتاب وإصداره بمقدمة صافية، وفي عام 1993م أصدرته هيئة الكتاب ضمن سلسلة من الكتب أطلقنا عليها اسم التنوير.

يعد هذا الكتاب أول تجسيد للعلاقة بين الشرق والغرب في العصر الحديث، ويمثل هذا الكتاب علامة بارزة من علامات التاريخ الثقافي المصري والعربي الحديث، فهو بلا شك واحد من أهم الكتب العربية التي وضعت خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر، وقد كتبه الشيخ رفاعة رافع الطهطاوي أثناء رحلته التعليمية التي بدأت عام 1826م وانتهت عام 1830م، وذلك عندما بعثه محمد علي باشا والي مصر مع أربعين طالبًا لدراسة العلوم والفنون في باريس ليعودون حاملين شعلة التنوير والتحديث ليسهموا في بناء مصر الحديثة.

فبعد معركة الفكر في بلد النور والجمال أفاض الله على عبده فألهمه كتابًا هو "تخليص الإبريز في تلخيص باريز"، تحدث فيه عن علوم فرنسا التاريخية والجغرافية والسياسية والاجتماعية، فيه ما لاحظ وما رأى، ما استحسنه وما كرهه، وفيه مقارنة بين بلده الوطن مصر وعاصمة الحب والجمال باريس (فرنسا).

قبل أن ينشر رفاعة كتابه وقبل عودته إلى مصر عرضه على أستاذه "جومار" ووافق عليه.

«إن الباعث الأول لرفاعة الطهطاوي في هذه المرحلة كانت للتعليم والتثقيف بعلم فرنسا، وقتها ونقل ما يمكن نقله إلى مصر»[1]، والباعث الثاني هو «حث ديار الإسلام على البحث على العلوم البرالية والفنون والصنايع»[2].

«لقد ساعد الوصف على معرفة مظاهر الحياة اليومية المختلفة عند العرب.. ولعل أدب الرحلة من أبرز الأنواع السردية والنثرية التي اعتنت بشكل واضح بوصف الأماكن والأشخاص وعادات الشعوب وتقاليدها في جميع مجالات الحياة بها»[3].

كان العنوان الأول للكتاب هو "الديوان النفيس بإيوان باريس" ثم استقر رفاعة على "تخليص الإبريز في تلخيص باريس".

ومن خلال العنوانين نجد أن الكاتب في كتابه يزاوج ويمزج بين أسلوبين، الأول هو الأسلوب السردي القديم بكل ما فيه من محسنات بديعية وأطنان وقافية وجرس منظوم وسجل مرقوم، كل هذا يدعوا إلى الفرح من صنعة قوامها التكلف والافتعال، أما الأسلوب الثاني هو معاصر يأخذك إلى جوه والمعنى دون تكلف، يسرد الأحداث في جمل قصيرة خالية من الحشو، والكتاب يقدم موضوعه في قالبًا حكائي شيّق من بداية الرحلة حتى النهاية (العودة إلى مصر).

إن "كتاب تخليص الإبريز في تلخيص باريز" ليس كتابًا في التعليم على الرغم من أنه اهتم بالناحية التعليمية، وذكر في جوانب مختلفة عن كيفية التعلم وخاصة علم المنطق وعلم الحساب ومقولات أرسطو العشرة، وهو ليس في اللغة والبلاغة على الرغم من أنه تعرض لبعض جماليات اللغة العربية وبعض جماليات اللغة الفرنسية في العديد من المواضع في الكتاب، ونجده قد اهتم بالبديع ونلاحظ ذلك في عنوان الكتاب "تخليص

[1]- حسين محمد فهيم، أدب الرحلات، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، دط، 1989م، ص 183.

[2]- رفاعة رافع الطهطاوي، تخليص الإبريز في تلخيص باريز، ص 11.

[3]- فوزي عقلي، شعرية الوصف في أدب الرحلة –ابن بطوطة أنموذجًا- قسم اللغة العربية وآدابها، المركز الجامعي، ع.د 37 مارس 2013م، ص 157.

الإبريز في تلخيص باريز" من حيث الجناس والطباق ويحث التقسيم وهو الأسلوب الذي كان متبعًا في عناوين الكتب في تلك الفترة.

والكتاب ليس كتابًا في الترجمة على الرغم من أنه قام بترجمة بعض العادات والتقاليد الفرنسية وبعض مقالات الصحف والجرائد الفرنسية.

وهو كتاب ليس في الطب على الرغم من وجود فصل كامل عن كيفية التداوي من بعض الأمراض.

وهو كتاب ليس في الجغرافيا على الرغم من ذكره تخطيط باريس الجغرافي، وهو ليس كتاب في الشعر والأب على الرغم من كثرة الأبيات الشعرية التي استعان بها الطهطاوي.

وهو كتاب ليس غي هذا ولا هذا.. إنه كتاب حاول أن يكون في جل مجالات الحياة وأكثر من ذلك فقد أعطى لنا لمحة عن كل ما سبق ذكره.

ينقسم الكتاب إلى مقدمة ومقصد، تضم المقدمة أربعة أبواب والمقصد ست مقالات، في كل مقالة عدة فصول.

تحدث في المقدمة عن أسباب السفر إلى فرنسا ويعود بنا إلى ما قبل التاريخ معتمدًا على ثقافته التي أخذها من كتب السيّر، فيقسم البشرية من حيث أصولها إلى تقسيم في ثلاث مراتب: أولها البشر المتوحشون، الثاني البرابرة والثالث لأهل الأدب، ويدخل في هذا المرحلة العرب خصوصًا أيام العباسيين والأندلس ثم الإفرنج، وفي الأبواب الأخرى للمقدمة يتحدث الكاتب عن تخصصات أفراد البعثة وأسماء الرؤساء والعلوم التي قاموا بدراستها وتحدث عن المسيو "جومار".

أما في المقصد فكان رفاعة يحكي بالتفصيل اليسير والبطيء عن كل ما حصل في البعثة، ففي المقالة الأولى تحدث عن الخروج من مصر إلى دخول الإسكندرية ويذكر مدة السفر التي دامت، ويتحدث عن البحر وركوب الأمواج بالإسكندرية ووصف لنا ما رأى من جمال البلاد والحبال وبلاد الجزائر.

وعند الوصول إلى مرسيليا تبدأ المقالة الثانية، ومن هنا نبدأ رحلة جديدة دهشة واستغراب -أفراد يأكلون جلوس، يعرفوك لأول مرة شيء اسمه شوكة وسكين-، يقول رفاعة في هذا الصدد: «ولم نشعر في أول يوم إلا وقد حضّروا لنا أمور غريبة في غالبها، وذلك أنهم أحضروا لنا عدة خدم فرنساوية، لا نعرف لغاتهم، ونحو مائة كرسي للجلوس عليها، لأن هذه البلاد يستغربون جلوس الإنسان على نحو سجادة مفروشة على الأرض، فضلاً على الجلوس بالأرض، ثم مدو السفرة للفطور، ثم جاؤو بطلبات عالية، ثم رصوها من الصحون البيضاء الشبيهة بالعجمية، وجعلوا قدام كل صحن قدحًا من "القزاز" وسكينًا وشوكة وملعقة، وفي كل طبلية نحو قزازتين من الماء وإناء فيه ملح وآخر فيه فلفل، ثم رصوا حوالي الطبلية كراسي، لكل واحد كرسي ثم جاءوا بالطبيخ، فوضعوا لكل إنسان في صحنه شيئا يقطعه بالسكين الذي قدامه ثم يوصله إلى فمه بالشوكة لا بيده، فلا يأكل الإنسان بيده أصلاً ولا بشوكة غيره أو سكينة أو يشرب من قدحه أبدًا، ويزعمون أن هذا أنظف وأسلم عاقبة»[1].

ويتحدث أيضًا عن خروجهم من مرسيليا إلى دخولهم باريس والمسافة بينهما، وصولاً إلى باريس تبدأ المقالة الثالثة تحدث فيها الطهطاوي عن كل شيء في باريس بداية من تخطيطها الجغرافي وكونها مدينة نظيفة ميادينها واسعة، تحدث عن حدائقها الخلابة والمقاهي التي تعج ببشر متحضرين والملاهي الموجودة (الرقص والغناء) والمتاحف والمسارح، وتحدث عن أهل باريس وطريقة كلامهم ونشاطاتهم وتحدث عن نسائهم، وتحدث عن إيمانهم بالعلم ووصف لنا ملابسهم وبيوتهم من الداخل وطريقتهم في ترتيب أثاثهم، وتحدث عن أغذية أهل باريس وعاداتهم في المأكل والمشرب وتحدث عن نظامهم السياسي ودستور الدولة الفرنسية، كما تحدث عن الجمعيات الخيرية والملاجئ التي تضم الأيتام وذوي الاحتياجات الخاصة...الخ.

[1]- رفاعة رافع الطهطاوي، تخليص الإبريز في تلخيص باريز، ص 58.

وفي المقالة الرابعة تحدث رفاعة عن منهج الفرنسيين في تعليم اللغة الفرنسية وكيفية تعلمه لها ويتحدث عن المستشرقين وحديثه معهم ويورد عددًا من رسائل كان يرسلها محمد علي باشا لترغيبهم في الاجتهاد، وذكر بعض مراسلاته بينه وبين بعض كبار العلماء الفرنساوية من غير "مسيو جومار" صديقه "جون سلادان".

وتحدث أيضًا عن الامتحانات التي أجراها في مدينة باريس وذكر بالخصوص الامتحان الأخير الذي أعقبه رجوعه إلى مصر.

وفي المقالة الخامسة يروي لنا رفاعة حدثًا تاريخيًا في فرنسا عندما وقعت فتنة في فرنسا وعزل الملك قبل رجوع الطهطاوي ووفده إلى مصر، وخروج الفرنسيين عن طاعة ملكهم وذكر لنا التغييرات التي حصلت، وتخلي الملك على عرشه وذكر لنا ما حدث في نظام دولتهم وما حصل للوزراء، وتحدث عن ردة فعل دول الإفرنج بعد سماعهم انعزال الملك شارل العاشر.

وفي المقالة الأخيرة أي السادسة خصت حديثه عن نفسه اللغات والعلوم والفنون على طريق الإفرنج، وتحدث عن فن الكتابة وعلم البلاغة الذي يتضمن (علم المعاني والبديع والبيان)، وخصص فصل تحدث فيه عن المنطق وذكر أيضًا المقولات العشر المنسوبة إلى آريسطو.

وخصص الفصل الأخير (السابع) من المقالة السادسة في الحديث عن علم الحساب المسمى باللغة الإفرنجية "الأرتيماطيقي".

وأخيرًا الخاتمة: تحدث فيها عن الرجوع إلى مصر من باريس.

- إن كتاب "تخليص الإبريز في تلخيص باريس" هو من أهم كتب الطهطاوي، يقوم على وصف رحلة الطهطاوي إلى باريس، وتكمن أهميته في أنه أول عمل ينسب إلى أدب الرحلات في الثقافة العربية، ويقدم لنا الفجوة التي بين العالم الراكد المتأخر بدأت شرارة تطوره تلمع وبين عالم متحرك يفور بالحيوية، فالطهطاوي هو رائد الجيل النهضوي الأول في المعرفة.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

-القرآن الكريم.

-المصادر:

1. الطهطاوي رفاعة رافع، تخليص الإبريز في تلخيص باريز، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة-مصر، د ط، 2011م.

-المراجع:

-المراجع باللغة العربية:

2. إبراهيم زكريا، مشكلات فلسفية-مشكلة البنية، مكتبة مصر، القاهرة-مصر، د ط، دت.

3. إبراهيم عبد الله، السردية العربية، بحث في البنية السردية للموروث الحكائي العربي، المركز الثقافي العربي، ط1، 1995م.

4. أبي الحسن محمد بن أحمد بن جبير، رسالة اعتبار الناسك في ذكر الآثار الكريمة والمناسك (رحلة ابن جبير)، بإشراف لجنة تحقيق التراث، دار ومكتبة الهلال، بيروت-لبنان، دط، دت.

5. ابن فارس أبو الحسن أحمد بن زكريا، مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ج1، دمشق، 1989م.

6. أحمد حفيظة، بنية الخطاب في الرواية النسائية الفلسطينية (دراسة نقدية)، مركز أوغاريت الثقافي، دط، 1956م، 2000م.

7. أحمد رمضان حمد، الرحلة والرحالة المسلمون، دار البيان العربي، جدة، دط، دت.

8. بحراوي حسن، بنية الشكل الروائي (الفضاء، الزمن، الشخصية)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 2009م.

9. بوعالي باديس، الزمان والمكان في شعر الجاهلية، علم الكتب الحديث، جدار الكتاب العالمي للنشر والتوزيع، ط1، (د ت).

10. حسين محمود حسني، أدب الرحلة عند الغرب، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت-لبنان، ط2، 1983م.

11. حوراني ألبرت، الفكر العربي في عصر النهضة، 1798-1939، ترجمة: عز قون، دار النهار للنشر والتوزيع، بيروت-لبنان.

12. أبو زيد ولي الدين عبد الرحمان بن محمد الاشبيلي، مقدمة ابن خلدون، ضبط نصوصه وخرج أحاديثه: أبو عبد الرحمان وائل حافظ محمد خلف، دار العقيدة، ط1، 1429هـ، 2008م.

13. زيادة نقولا، أعلام عرب محدثون من القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت-لبنان، 1994م.

14. شعبان عبد الحكيم محمد، الرواية العربية (دراسة في آليات السرد وقراءات نصية)، مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2014م.

15. الشوابكة نوال عبد الرحمان، أدب الرحلة الأندلسية والمغربية حتى نهاية القرن التاسع عشر الهجري، دار المأمون للنشر والتوزيع، عمان-الأردن، ط1، 1428هـ، 2008م.

16. الشيال جمال الدين، رفاعة رافع الطهطاوي، دار المعارف، مصر، 1958م.

17. الصعيد يعبد الحكيم عبد اللطيف، الرحلة في الإسلام (أنواعها وآدابها)، مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة-مصر، ط1، 1416هـ، 1996م.

18. صلاح زكي أحمد، أعلام النهضة العربية الإسلامية في العصر الحديث، مركز الحضارة الغربية، القاهرة-مصر، 2001م.

19. الطهطاوي رفاعة رافع، المرشد الأمين للبنات والبنين، تق: منى أحمد أبو زيد، دار الكتاب المصري، القاهرة-مصر، 2012م.

20. عبيدي مهدي، جماليات المكان في ثلاثية حنامينة، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق-سوريا، د ط، 2011م.

21. العدوي إبراهيم أحمد، ابن بطوطة في العالم الإسلامي، دار المعارف، د ط، مصر، 1954م.

22. علي عبد الرحمان، دور الفكر التربوي للشوكاني ورفاعة الطهطاوي للتأسيس والنهضة والتطوير من خلال القرن التاسع عشر، الجامعة الأردنية.

23. عمارة محمد، رفاعة رافع الطهطاوي، رائد التنوير في العصر الحديث، دار الشروق، مصر، ط3، 2007م.

24. العيد يمنى، في معرفة النص، دار الآفاق الجديدة، بيروت -لبنان ،ط1، 1983م.

25. فضل صلاح، النظرية البنائية في النقد الأدبي، دار الشروق، القاهرة -مصر، ط1، 1419هـ- 1998م.

26. فهيم حسين محمد، أدب الرحلات، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1989م.

27. القاسي محمد رضا الرحمان، الرحلة وأدبها في اللغة العربية، مجلة الداعي الشهيد، دار العلوم، 1413هـ.

28. القاضي محمد وآخرون، معجم السرديات، دار محمد علي للنشر، تونس، ط1، 2010م.

29. قنديل فؤاد، أدب الرحلة في التراث العربي، مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة- مصر، ط2، جمادى الأولى 1423هـ-يوليو 2002م.

30. كاصد سلمان، عالم النص (دراسة بنيوية في الأساليب السردية)، دار الكندي، الأردن، د ط، 2003م.

31. الكردي عبد الرحيم، البنية السردية للقصة القصيرة، مكتبة الآداب، القاهرة، 2005م.

32. كليطو عبد الفتاح، الحكاية والتأويل -دراسات في السرد العربي- دار توبقال للنشر، الدار البيضاء-المغرب، ط1، 1988م.

33. لحميداني حميد، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1991م.

34. لحميداني حميد، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر، الدار البيضاء، ط3، 2000م.

35. المرزوقي سمير وجميل شاكر، مدخل إلى نظرية القصة، ديوان المطبوعات الجامعية، الدار التونسية للنشر، الجزائر، د ط، د ت.

36. المرزوقي سمير وجيل شاكر، مدخل إلى نظرية القصة (تحليلاً وتطبيقًا)، الدار التونسية وديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.

37. الموافي ناصر عبد الرزاق، الرحلة في الأدب العربي (حتى نهاية القرن الرابع الهجري)، دار النشر للجامعات المصرية- مكتبة الوفاء، القاهرة-مصر، ط1، 1415هـ، 1955م.

38. النابلسي شاكر، جماليات المكان في الرواية العربية، المؤسسة العربية للدراسة والنشر، بيروت، ط1، 1994م.

39. النجار حسن فوزي، رفاعة الطهطاوي رائد الفكر وإمام النهضة، مكتبة مصر، القاهرة-مصر، د.س.ن.

40. النساج سيد حامد، مشوار كتب الرحلة (قديمًا وحديثًا)، مكتبة غريب، القاهرة-مصر، دط، د ت.

41. نصار حسين، أدبيات أدب الرحلة، مكتبة لبنان، الشركة المصرية العالمية للنشر- لونجمان، الجيزة -مصر ،ط1، 1991م.

42. نواب عواطف بنت محمد يوسف، كتب الرحلات في المغرب الأقصى، دارة الملك عبد العزيز، الرياض، 2008م.

43. وادي طه، ديوان رفاعة رافع الطهطاوي، ط2، دار المعارف، القاهرة، مصر، 1984م.

44. يقطين سعيد، تحليل الخطاب الروائي (الزمن، السرد، التبئير)، المركز الثقافي العربي، ط1، 1997م.

-المعاجم والقواميس:

45. ابن منظور أبو الفضل، لسان العرب، المجلد الثالث، دار صادر، بيروت-لبنان، مج: 3، ط1، 2000.

46. ابن منظور، لسان العرب، تح: عبد الله علي كبير وآخرون، مج3، ج18، دار المعارف، القاهرة، (دط، دت).

47. الفراهيدي الخليل بن أحمد، كتاب العين، ت: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط1، 2003م، ج4، مادة (مَكَنَ).

48. الفيروز آبادي مجد الدين محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، تحق : مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، مؤسسة الرسالة، بيروت-لبنان، ط 8،2005م

49. حجازي سمير، قاموس مصطلحات النقد الأدبي المعاصر (عربي، فرنسي، انجليزي)، دار الآفاق العربية، ط1، 2001م.

50. مصطفى إبراهيم وآخرون، المعجم الوسيط مادة (سرد)، الجزء الأول، معجم اللغة العربية، دار الدعوة، 1989م.

-الرسائل الجامعية:

51. عزوزي عبد الصمد، أدب الرحالة الجزائريين في الخمسة الهجرية الثانية، رسالة ماجستير، مخطوط، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، تلمسان، 2003م.

52. المري نورة بنت محمد بن ناصر المري، البنية السردية في الرواية السعودية (دراسة فنية لنماذج من الرواية السعودية)، رسالة علمية مقدمة للحصول على درجة الدكتوراه في الأدب الحديث، فرع الأدب، جامعة أم القرى المملكة العربية السعودية، 1429هـ-2008م.

-المجلات والجرائد:

53. جريدة الزمان الدولية، العدد 4296، التاريخ 2012/09/05م، AZP 09.

54. شبيب سحر، البنية السردية والخطاب السردي في الرواية، محلية دراسات في اللغة العربية وآدابها، ع 14، 2013م.

55. عقلي فوزي، شعرية الوصف في أدب الرحلة -ابن بطوطة أنموذجًا- قسم اللغة العربية وآدابها، المركز الجامعي، ع.د 37 مارس 2013م.

56. الفرجاني جمعة العربي، أسس النظرية البنيوية في اللغة العربية، المجلة الجامعة، مج1، قسم اللغة العربية وآدابها-كلية الآداب-الزاوية، جامعة الزاوية، ع18، يناير 2016م.

-المراجع المعربة:

57. برنس جيرالد، المصطلح السردي (معجم مصطلحات)، ترجمة عابد خزندار، مراجعة وتقديم محمد بريري، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة-مصر، ط1، 2003م.

قائمة المحتويات

قائمة المحتويات

المحتوى	الصفحة
شكر	
إهداء	
مقدمة	أ-ج
المدخل التمهيدي: ماهية البنية السردية	
1- البنية:	5
أ-لغة	5
ب-اصطلاحًا	6
2- السرد:	7
أ-لغة	7
ب-اصطلاحًا	8
3- مفهوم السردية	9
4- مفهوم البنية السردية	10
5- مكونات البنية السردية	11
الفصل الأول: الرحلة وأدب الرحلات	
1- مفهوم الرحلة لغة واصطلاحًا	14
أ- لغة	14
ب- اصطلاحًا	15
2- مفهوم أدب الرحلة	15
3- أعلام الرحالة العرب	16
أ- في العصر القديم	16
ب- في العصر الحديث	17
4- دوافع الرحلة عند العرب	17
أ- الدافع الديني	17
ب- الدافع العلمي	18

ج- الدافع الاقتصادي	18
د- دوافع سياحية وثقافية	18
هـ- دوافع سياسية	19
و- دوافع صحية	19
5- أهمية أدب الرحلة	19
أ- أهمية علمية	19
ب- الأهمية التعليمية	21
ج- الأهمية الأدبية	21
6- إشكالية المصطلح في أدب الرحلة	24
7- أدب الرحلة في العصر الحديث	25
الفصل الثاني: بنية المكان في رحلة تلخيص الإبريز في تلخيص باريز لرفاعة الطهطاوي	
1- المكان وعلاقته بالأدب	28
2- مفهوم المكان	29
أ- لغة	29
ب- اصطلاحًا	29
3- أنواع الأمكنة	29
أ- الأماكن المفتوحة	30
- البحر	31
- الجبال	32
- باريس	33
- الشوارع	35
-متنزهات باريس	36
- الأنهار	37
ب- الأماكن المغلقة	38
- الإسكندرية	39

- الأوض "الغرف"	**40**
- البيت	**41**
- القصر	**44**
- المسرح (التياتر، السبكتاكل)	**45**
- الحمامات	**46**
خاتمة	**49**
الملاحق	**52**
قائمة المصادر والمراجع	**61**
قائمة المحتويات	**68**

تم بحمد الله

ملخص الدراسة:

يعد أدب الرحلة لونا من الألوان الأدبية الذي ينتقي فيها الرحالة العديد من المظاهر الثقافية عادات وتقاليد وآثار تلك المنطقة التي زارها، ناقلا الواقع في قالب أدبي خال من التكلف والخيال.

امتد صدى أدب الرحلة حتى العصر الحديث واشتهر في هذا العصر الطهطاوي ورحلته إلى باريس، حيث كانت هذه الرحلة مثل المصباح المنير في عصر النهضة بما تحمله في طياتها تغيير وتجديد ورغبة في النهوض بالبلاد العربية.

وقد أبدع الطهطاوي في توظيفه لبنية المكان لأنه إحدى العناصر الحية والنشطة في مكونات السرد الرحلي.

اعتمدنا في دراستنا هذه على المنهج الوصفي التحليل ومن هنا اقتضت علينا الدراسة تقسيم هذا البحث إلى مقدمة ومدخل في شرح بعض الكلمات (البنية، السرد، البنية السردية)، وفصلين الأول تضمن الجانب النظري حول الرحلة، أما الفصل الثاني مزجنا بين النظري والتطبيقي حول المكان ودرسنا بنية المكان في الرحلة، ثم خاتمة فيها أهم النتائج المتحصل عليها يليها ملحق فيه تعريف الكاتب وملخص حول الكتاب، وبعدها قائمة المصادر والمراجع التي اعتمدنا عليها.

الكلمات المفتاحية: البنية، السرد، البنية السردية، الرحلة، أدب الرحلات، المكان، البنية المكانية

Summary of the study:

Travel literature is one of the literary genres in which the traveler selects many cultural aspects, the customs, traditions, and monuments of that region he visited, conveying reality in a literary form free from sophistication and imagination.

The echo of the travel literature extended to the modern era and became famous in this eraAl-Tahtawi and its journey to Paris, where this journey was like a luminous lamp in the Renaissance era, which carries with it change, renewal and a desire to advance the Arab countries.

Al-Tahtawi excelled in his employment of the structure of the place because it is one of the living and active elements in the components of the travel narrative.

In our study we relied on the descriptive method of analysis, and from here the study required us to divide this research into: introduction and an approach to explain some words (structure, narration, narrative structure), and two chapters the first included the theoretical side about the travel literature, and the second chapter mixed the theoretical and applied about the place and studied The structure of the place in the travel literature, then a conclusion with the most important results obtained, followed by an appendix in which the author's definition and a summary about the book, and then a list of sources and references that we have relied on.

key words: Structure, narrative, narrative structure, travel, travel literature, place, the structure of the place